الطبعة الثانية

تَرْغِيبُ الْمُشْتَاقِيْن

في شرح منظومة السيد زين العابدين
في مولد سيد الأولين والآخرين

محمد صلى الله عليه وسلم

تأليف :

الإمام العالم العلامة سيد علماء الحجاز
الشيخ محمد نووي التناري البنتني الشافعي

اعتنى به :
أبو أرسهل ولدان الجمفاكي البنتني

ترغيب المشتاقين

DĀRUL WILDĀN

تَرْغِيبُ الْمُشْتَاقِيْن

في شرح منظومة السيد زين العابدين

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الثانية

٢٠٢٥ م / ١٤٤٧ هـ

عنوان الكتاب	: ترغيب المشتاقين في شرح منظومة السيد زين العابدين في مولد سيد الأولين والآخرين
المؤلف	: العالم العلامة الشيخ محمد نووي التناري البنتني الجاوي الشافعي
بلد الطباعة	: تنجرانج، بنتن
عدد الصفحات	: ١٢٦ صفحة
قياس القطع	: ١٧ × ٢٤
الطبعة	: الطبعة الثانية
سنة الطباعة	: ١٤٤٧ هـ/ ٢٠٢٥ م
المعتني به	: أبو سهل دَني ولدان الجمفاكي البنتني

DĀRUL WILDĀN

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنار جميع الوجود بمولد سيد الأنام، أحمده على ما أولانا من الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من الكروب العظام، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدُه ورسوله ذو الشفاعة العظمى يوم الازدحام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين سبقونا بالإسلام.

وبعد : فهذا شرح على منظومة السيد زين العابدين البرزنجي في مولد سيدنا محمد ذي المقام الأعلى، وهذه المنظومة من البحر الطويل، وأجزاؤه: «فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن» مرتين، وقد بلغت الغاية في حسن نظمها. وقد سميت هذا الشرح المبارك بـ :

ترغيب المشتاقين لبيان منظومة زين العابدين

وأسأل الله تعالى بفضله العميم ورسوله العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز بجنات النعيم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة قدير.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

بَدَأْتُ بِـإِسْمِ الذَّاتِ عَـالِـيَّـةَ الشَّانِ ۞ بِهَا مُسْتَدِرًّا فَيْضَ جُوْدٍ وَإِحْسَانِ

(**بَدَأْتُ**) إيراد قصة مولد سيد المرسلين في هذه المنظومة (**بِإِسْمِ الذَّاتِ**) بقطع الهمزة للوزن (**عَالِيَةَ الشَّانِ**) أي: مرتفعة الرتبة المنزهة عما سواها، وهذا إما بالنصب حال من «الذات» إذا اعتبرنا جانب الحال والاستقبال، لأن الإضافة حينئذ غير حقيقية،

أو بالجر نعت لِـ«الذات» إذا اعتبرنا جانب الماضي، فالإضافة حينئذ حقيقية، كما في ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ﴾ [الفاتحة: ٤] (**بِهَا**) أي: بتلك الذات، فالجار والمجرور متعلق بما بعده، والباء للاستعانة أو للمصاحبة على وجه التبرك (**مُسْتَدِرًّا**) حال من تاء المتكلم (**فَيْضَ جُوْدٍ وَإِحْسَانِ**) أي: مستكثرا سيلان كرم وعطاء أو مستسيلا كثرة ذلك، وعطف «إحسان» على «جود» من قبيل العطف المرادف لأنهما بمعنى واحد، وهو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي على وجه ينبغي لا لغرض ولا لعلة.

وثَنَّيْتُ بِالْحَمْدِ الْهَنِيِّ مَوَارِدَا ۞ مَعَ الشُّكْرِ لِلْمَوْلٰى بِمَا مِنْهُ أَوْلَانِي

(**وَثَنَّيْتُ**) أي: بدأت ثانيا (**بِالْحَمْدِ الْهَنِيِّ**) أي: اليسير أو اللذيذ (**مَوَارِدَا**) منصوب على التميز، وهو جمع «مورد»، فمورد الحمد: اللسان. فالمراد: الصيغة الدالة على الحمد، فهو مجاز مرسل من إطلاق المحل وإرادة الحال. والمعنى: بدأت ثانيا بصيغة الحمد اللذيذة المعنى التي لا يخشى منها سوء أدب في حق المحمود (**مَعَ الشُّكْرِ**) أي: مصحوبا ذلك الحمد بالشكر (**لِلْمَوْلٰى**) أي: لمالكنا وولي نعمتنا دنيا وأخرى (**بِمَا**) أي: بشيء، فالباء للسببية (**مِنْهُ أَوْلَانِي**) أي: أعطاني من النعم التي لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا﴾ [النحل: ١٨].

وَأَسْتَمْنِحُ اللهَ الْعَظِيْمَ نَوَالُهُ ۞ سِجَالَ صَلَاةٍ مَعْ تَحِيَّةِ رِضْوَانِ

(**وَأَسْتَمْنِحُ اللهَ**) أي: أطلب[1] من الله، (**الْعَظِيْمَ نَوَالُهُ**) أي: عطاؤه، وهو بالرفع فاعل، (**سِجَالَ صَلَاةٍ**) أي: انصبابَ رحمة مقرونة بالتعظيم وكثرتَها (**مَعْ**) بسكون

---

(١) قوله: (**أطلب**) أي: أطلب المنح من الله.

العين (**تَحِيَّةِ رِضْوَانِ**) بكسر الراء وضمها.

يَؤُمَّانِ رُوْحَ الْمُصْطَفٰى وَضَرِيْحَهُ ۞ وَعِتْرَتَهُ الْأَطْهَارَ طُرًّا يَخُصَّانِ

(**يَؤُمَّانِ**) أي: يتوجهان، أي: الصلاة والتحية التي هي السلام (**رُوْحَ الْمُصْطَفٰى**) أي: المختار (**وَضَرِيْحَهُ**) أي: قبره الشريف (**وَعِتْرَتَهُ**) أي: ذريته ﷺ وأقرباؤه (**الأَطْهَارَ**) من الذنوب، وهو جمع «طاهر» كـ«أصحاب» جمع «صاحب» (**طُرًّا**) بضم الطاء، أي: جميعا (**يَخُصَّانِ**) أي: الصلاة والتحية. والمعنى: أسأل الله تعالى أن يخص العترة الأطهار جميعه دون غيرهم بها، والواو في قوله: «وعترته» داخلة في قوله: «يخصان».

وَأَصْحَابَهُ الْأَبْرَارَ مَنْ شَاعَ فَضْلُهُمْ ۞ وَأَشْيَاعَهُ وَالتَّابِعِيْنَ يَعُمَّانِ

(**وَأَصْحَابَهُ**)، وهم من اجتمعوا بالنبي ﷺ بعد بعثته مؤمنين به (**الْأَبْرَارَ**) جمع «بَر» بفتح الباء: وهو الكثير البر بكسر الباء، أي: الخير والفضل (**مَنْ شَاعَ**) أي: ظهر (**فَضْلُهُمْ**) بين العالمين، والفضل: ضد النقص، قال ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل الأرض ذهبا لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، وقال ﷺ: «خير القرون قرني». واعلم أن فضل الصحبة لا يعادله عمل، ومن ثم لما سئل ابن المبارك عن عمر ابن عبد العزيز ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أيهما أفضل؟ قال: لَلغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز، ذكر ذلك ابن حجر في شرح الهمزية. (**وَأَشْيَاعَهُ**) أي: أتباعه ﷺ وأنصاره (**وَالتَّابِعِيْنَ**) للصحابة (**يَعُمَّانِ**) أي: الصلاة والتحية. والمعنى: أسأل الله تعالى أن يعم مَن ذُكر من الأصحاب ومَن بعدهم بهما، وفي قوله: «يخصان» و«يعمان» الطباق، وهو الجمع بين الضدين ولو في الجملة كما في

قوله تعالى: ﴿يُحْيِـيْ وَيُمِيْتُ﴾. ولعل المراد: وأستمنح سجال صلاة ورضوان غير ما أطلبه أولا، وإلا فاجتماع الضدين محال.

وَأَسْأَلُهُ الـتَّـوْفِيْـقَ فِي نَـظْـمِ مَـوْلِدٍ ❁ لِجَدِّي الَّذِي مِنْ جَعْفَرِ الْفَضْلِ أَرْوَانِي

(**وَأَسْأَلُهُ**) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (**التَّوْفِيْقَ**) إلى الصواب (**فِي نَظْمِ مَوْلِدٍ**) أي: في جعل مولده منظوما، أي: موزونا بالبحر الطويل (**لِجَدِّي الَّذِي مِنْ جَعْفَرِ الْفَضْلِ**) أي: من نهر الكمال والشرف والعلو، والمراد بالجعفر هنا معناه الأصلي، وهو النهر لا اسم الرجل الذي هو جد الناظم، نعم هو تلويح له (**أَرْوَانِي**) أي: سقاني، هذا صلة الموصول.

لَقَطْتُ لِسِمْطٍ دُرَّهُ الـرَّطْبَ حَبَّذَا ❁ جَـوَاهِرُ عِقْدٍ قَدْ تَعَزَّزْنَ عَنْ ثَانِ

(**لَقَطْتُ**) أي: أخذت (**لِسِمْطٍ**) بكسر السين، أي: لقلادة (**دُرَّهُ**) أي: مولد جدي، فالدر بضم الدال: هو اللؤلؤة العظيمة الكبيرة (**الرَّطْبَ**) صفة لـ«در»، أي: الناعم الذي يسر الناظرين. فقوله: «دره الرطب» كناية عن أحسن القصص الذي في مولد السيد جعفر الذي يعجب السامعين (**حَبَّذَا جَوَاهِرُ عِقْدٍ**) بكسر العين، أي: قلادة، و«الجواهر» جمع «جوهرة»، وهو كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به، وهذا يمدح مولد السيد جعفر في أنه كثير النفع ومرغوب فيه بحسن ألفاظه كما أن الماس والياقوت كذلك، وأصل «حب»: «حبب» بالباءَين ثم أدغم، و«ذا» فاعله ويلزم الإفراد والتذكير وإن كان المخصوص بخلاف ذلك لأن فيه حذفا، تقديره في نحو «حبذا» هنا: «حبذا حسنها»، و«حبذا زيد حبذا أمره وشأنه»، فالمقدر المشار إليه مفرد مذكر دائما حذف وأقيم

المضاف إليه مقامه (**قَدْ تَعَزَّزْنَ**) أي: تفردن (**عَنْ ثَانِ**) أي: عن مماثل، فلا يكاد يوجد، وهذا من تتمة المدح لمولد السيد جعفر.

وَأَنْظِمُ مِنْهَا الْبَعْضَ خَوْفَ إِطَالَةٍ	۞	**وَيَكْفِيْ مُحِيْطَ الْجِيْدِ مِنْ عِقْدِ عِقْيَانِ**

(**وَأَنْظِمُ مِنْهَا**) أي: من جواهر عِقد، (**الْبَعْضَ**) أي: أجمع بعض القصة المشبهة بالجواهر للعقد التي هي لجدي في سلك تأليفي منظوما وموزونا بأجزاء البحر الطويل، (**خَوْفَ إِطَالَةٍ**) لئلا يسأم الحاضرون مجالس قراءة المولد الشريف من سماعهم وقعودهم، وإلا يكن لأجل ذلك، فالإطالة في مدح النبي ﷺ مطلوبة.

فائدة: وأول من أحدث فعل المولد: الملك المظفر أبو سعيد، فكان يعمله في ربيع الأول، وكان يصرف على المولد كل سنة ثلثمائة ألف دينار. وحكى بعض من حضر سماطه في بعض الموالد أنه عدّ فيه خمسة آلاف رأس غنم وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلواء، ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

وفي مطلع الأنوار للشيخ محمد بن المنير: قال ابن الجوزي :من خواص قراءة المولد الشريف أنه أمان تام في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام. وينبغي إظهار التجمل والزينة بالثياب الفاخرة ليلة مولده الشريف لأنه ذخرنا في الآخرة، انتهى.

وقال القسطلاني في المواهب: فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعيادا ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعيا داء، انتهى.

وقال عبد الله عيسى الأنصاري: كانت بجواري امرأة صالحة، ولها ولد صالح، فكانت فقيرة لا شيء لها إلا دينارا واحدا من ثمن غزلها فماتت، وكان ذلك الولد يقول: هذا من ثمن غزل أمي، والله لا أصرفه إلا في أمر الآخرة، وخرج ذات يوم في حاجة له، فمر بقوم يقرؤون القرآن وعملوا مولد النبي ﷺ في ربيع الأول جلس عندهم وسمع ذلك، ثم نام في ليلته، فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت، وكأن مناديا ينادي: أين فلان بن فلان يذكر جماعة؟ فساقهم إلى الجنة وذلك الشاب معهم. وقال النادي: إن الله جعل لكل منكم قصرا في الجنة، فدخل ذلك الشاب قصرا لم ير أحسن منه، والحور العين فيه كثيرة، وعلى أبوابه خدام، وباقي القصور ألطف من القصر الذي دخل فيه، فأراد الدخول فيه، فلما همّ بالدخول، قال له الخدام: ليس هذا لك وإنما هو للذي عمل مولد رسول الله ﷺ، فلما أصبح ذلك الشاب صرف ذلك الدينار على مولد النبي ﷺ فرحا برؤياه، وجمع الفقراء يذكرون الله ويقرؤون القرآن ومولده ﷺ، وقص على الجماعة رؤياه ففرحوا بذلك، ونذر أن لا يقطع مولد النبي ﷺ مادام حيا، ثم نام فرأى أمه في المنام في هيئة حسنة وفي حلل من حلل الجنة، ولها رائحة الجنة، وقبل يدها، وقبلت في رأسه، وقالت: جزاك الله خيرا يا ولدي لقد أتاني ملك وأعطاني هذه الحلل، فقال لها: من أين لكِ هذه الكرامة؟ فقالت: لأنكَ قد صنعتَ بالدينار الذي ورثتُه مني مولد سيد الأولين والآخرين. وهذا جزاء من عظم نبيه وعمل مولده.

(**وَيَكْفِي مُحِيْطَ الْجِيْدِ**) بكسر الجيم، أي: العنق، (**مِنْ عِقْدِ عِقْيَانِ**) بكسر العين،

أي: ذهب، فالناظم يمدح منظومه تَحَدُّثًا بالنعمة، ويشبهه بالقلادة المصنوعة من الذهب الأحمر لبهائه ونضارته وصراحته.

وَبِاللهِ مَوْلَايَ اسْتَعَنْتُ وَحَوْلِهِ ۞ وَقُوَّتِهِ فِي سِرِّ سِرٍّ وَإِعْلَانِ

(وَبِاللهِ مَوْلَايَ) أي: ناصري (اسْتَعَنْتُ) أي: لا غيره (وَحَوْلِهِ) أي: واستعنت بتدبيره تعالى (وَقُوَّتِهِ) أي: وبقدرته (فِي سِرِّ سِرٍّ)(١)، سر السر: هو ما انفرد الحق عن العبد في اطلاعه (وَإِعْلَانِ) بكسر الهمزة.

ولما أراد الناظم الشروع في المقصود حلى كلامه بالفصل بالصلاة على سيد المرسلين ورسول رب العالمين، وهكذا عادته، كلما أراد الانتقال من طريق إلى آخر قال:

إِلٰهِيَ رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

(إِلٰهِيَ) بفتح الياء للوزن، أي: يا معبودي (رَوِّحْ) أي: طيب (رُوْحَهُ) ﷺ (وَضَرِيْحَهُ) أي: قبره (بِعَرْفٍ) أي: رائحة حسنة (شَذِيٍّ) بالذال المعجمة، أي: قوي (مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ)، بيان للعَرف.

* * *

(١) قوله: (في سر سر)، والسر عند القوم: ما يمكن العبد أن يصل إليه بكسبه. وسر السر: ما لا يمكنه الوصول إليه إلا بإعانة مولاه تعالى لكونه من الغيوب التي لا تحصل إلا بالهبات الإلهية.

وَبَعْدُ فَخَيْرُ الْـخَلْقِ طُرًّا مُـحَمَّدٌ ۞ سُلَالَةُ عَبْدِ اللهِ صَفْوَةُ عَدْنَانِ

(**وَبَعْدُ**) أي: بعد ما ذكر من التسمية والحمد وطلب الصلاة والتحية على رسول الله ومن ذكر معه وسؤال التوفيق (**فَخَيْرُ الْخَلْقِ**) من الإنس والجن والملائكة وغيرهم (**طُرًّا**) بفتح الطاء، أي: قطعا، أي: بلا خلاف، وبضمها، أي: جميعا، (**مُحَمَّدٌ**) ﷺ، وعن أنس قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مِنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ بفتح الفاء، وقال: أنا أنفَسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح» رواه ابن مردويه. (**سُلَالَةُ عَبْدِ اللهِ**) أي: ولده (**صَفْوَةُ عَدْنَانِ**) أي: خالصه، وهو الجد الأعلى للنبي ﷺ وسائر العرب العرباء. قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار».

وإنما ذكر الناظم عدنان لأن النسب إليه متفق عليه، وروي عن عمر أنه قال: إنما ينتسب إلى عدنان، وما فوق ذلك لا يدري ما هو. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بين عدنان وإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثون أبا لا يعرفون. وحكى الزبير: أن عدنان أول من وضع علامات الحرم، وأول من كسا الكعبة.

وَقَدْ شَاعَ بَيْنَ الْعَالَمِيْنَ جُدُوْدُهُ ۞ وَعُدَّ إِلٰى عَدْنَانَ مَا بَيْنَ أَخْدَانِ

(**وَقَدْ شَاعَ بَيْنَ الْعَالَمِيْنَ جُدُوْدُهُ**) ﷺ (**وَعُدَّ**)، هو فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى الذكور من الجدود، ويجوز أن يكون فعل أمر، ومفعوله محذوف، أي: عدد الجدود (**إِلٰى عَدْنَانَ مَا**)، هذه زائدة، (**بَيْنَ أَخْدَانِ**) أي: أصدقاء،

وهو جمع «خدن» بكسر الخاء المعجمة.

فسيدنا محمد ﷺ هو: **ابن عبد الله** الذبيح، **ابن عبد المطلب** واسمه شيبة الحمد في قول ابن إسحاق وهو الصحيح، **ابن هاشم** واسمه عمرو، **بن عبد مناف** واسمه المغيرة، **بن قصي** واسمه مجمع، **بن كلاب** واسمه حكيم، **بن مرة** بضم الميم وتشديد الراء، **ابن كعب، بن لؤي** بضم اللام وفتح الهمزة، **ابن غالب، بن فهر** بكسر الفاء وسكون الهاء واسمه قريش وإليه تنسب قريش، فما كان فوقه فكناني لا قرشي، **ابن مالك، ابن النضر** واسمه قيس، **بن كنانة، بن خزيمة** تصغير «خزمة» بفتحات، **ابن مدركة** بضم الميم وكسر الراء واسمه عمرو، وقيل: عامر، **بن إلياس** بكسر الهمزة، في قول ابن الأنبار وبفتحها في قول قاسم، **ابن ثابت، بن مضر** بضم الميم وفتح الضاد واسمه عمرو على ما ذكره الباجوري، **ابن نزار** بكسر النون فزاي فألف فراء، قال الباجوري: اسمه خلدان، **ابن معدّ** بفتح الميم والعين وتشديد الدال، **ابن عدنان**.

قال محمد المنير الدمشقي: وذكر بعض الأفاضل أن من كتب أسماء آباءه ﷺ وعلقها عليه فإنـها تكون له حفظا من طوارق دهره. اهـ

وَعَدْنَانُ حَـقًّـا لِلذَّبِـيْـحِ انْتِسِابُهُ ۞ لَدَى مَعْشَرِ الْأَنْسَابِ مِنْ غَيْرِ بُهْتَانِ

(وَعَدْنَانُ حَقًّا) أي: يقينا، فهو مفعول مطلق لفعل محذوف، والتقدير: حققت حقا **(لِلذَّبِيْحِ)** وهو سيدنا إسماعيل، أي: الذي أمر الله تعالى أباه إبراهيم في المنام بذجه ثم منّ عليه بأن أنزل عليه فداءه كبشا من الجنة فهو ذبيح أمرا لا فعلا، **(انْتِسِابُهُ)** أي: عدنان، هذا مبتدأ ثان، و«للذبيح» خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول وهو

«عدنان»، (لَدٰى مَعْشَرِ الأنساب) أي: عند جماعة عارفين بالأنساب، وهو جمع «نسب»، و«المعشر» و«القوم» و«الرهط» و«النفر»: لجماعة الرجال دون النساء، (مِنْ غَيْرِ بُهْتَانِ) أي: افتراء، بمعنى كذب.

حَمَاهُ إِلٰهُ الْعَرْشِ مِنْ ظَهْرِ آدَمٍ ۞ إِلٰى صُلْبِ عَبْدِ اللهِ مِنْ رِجْسِ شَيْطَانِ

(حَمَاهُ) أي: حفظه ﷺ (إِلٰهُ الْعَرْشِ) أي: خالقه. والعرش: جسم عظيم نوراني علوي، وهو قبة ذات قوائم، يحمله الآن أربعة، وفي الآخرة ثمانية، رؤوسهم فوق السماء السابعة، وأقدامهم في الأرض السفلى، وإنما زيد في حملته في الآخرة لأنه يزداد تجلي الجلال عليه فيها، وقد ورد أن له ثلاثمائة وستين قائمة، عرض كل قائمة منها قدر عرض الدنيا سبعين ألف مرة، وبين كل قائمة وقائمة ستون ألف صخرة، في كل صخرة ستون ألف عالم، وكل عالم كالثقلين من الجن والإنس. ولذلك وصفه الله تعالى بالعظيم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، بناء على قراءته بالجر كما هو القراءة المشهورة. (مِنْ ظَهْرِ آدَمٍ) عَلَيْهِ السَّلَامُ، بالصرف لضرورة الوزن (إِلٰى صُلْبِ عَبْدِ اللهِ) الذبيح (مِنْ رِجْسِ شَيْطَانِ) أي: عمله، وعن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء» رواه الطبراني.

إِلٰى أَنْ بَدَا مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ وَمَعْشَرٍ ۞ وَخَيْرِ قُرُوْنِ الْخَلْقِ مِنْ نَوْعِ إِنْسَانِ

(إِلٰى أَنْ بَدَا) أي: خرج سيدنا محمد ﷺ (مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ) أي: أصل (وَمَعْشَرٍ) أي: قبيلة (وَخَيْرِ قُرُوْنِ الْخَلْقِ مِنْ نَوْعِ إِنْسَانِ) وعن العباس قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله خلق الخلق، فجعلني في خير فرقتهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني في خير القبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا، أي: روحا وذاتا، وخيرهم بيتا» أي: أصلا، رواه الترمذي، وعن أبي هريرة عنه ﷺ: «بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت منه» رواه البخاري، وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر قال ﷺ: «إن الله اختار خلقه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختارني من العرب، فلم أزل خيارا من خيار من خيار. ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم».

وَقَدْ صَانَ مِنْ فِعْلِ السِّفَاحِ أُصُوْلَهُ ۞ إِلَى أَنْ بَدَا كَالْبَدْرِ يَهْدِيْ لِرَحْـمَانِ

(**وَقَدْ صَانَ**) إله العرش (**مِنْ فِعْلِ السِّفَاحِ أُصُوْلَهُ**) أي: سيدنا محمد ﷺ. اعلم أن آدم ولد من حواء أربعين ولدا في عشرين بطنا، وولد شيشا منفردا، فكان نبينا محمد ﷺ من نسله، ولما توفي آدم أوصى شيث ولده بوصية آدم أن لا يضع هذا النور – أي: الذي كان في جبهة آدم ثم في شيث – إلا في المطهرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية تنتقل من قرن إلى قرن إلى أن أوصل الله ذلك النور إلى جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله، وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية . قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام» رواه البيهقي، أي: إلا نكاح كنكاح الإسلام في كونه مبيحا للوطء وإن لم يكن مستجمعا لشروط نكاح الإسلام الآن.

والمراد بالسفاح هنا جميع ما كان عليه الجاهلية:

- من نكاح السفاح: وهو أن تسافح المرأة رجلا مدة ثم إذا أعجبته وأعجبها

تزوّجها.

- ومن نكاح البغايا: وهو أن يطأ البغي جماعة متفرقون واحد بعد واحد، فإذا ولدت ولدا ألحقته بمن غلب عليه شبهه منه.
- ومن نكاح الاستبضاع: وهو أن تستبضع المرأة من أجنبي إذا طهرت من حيضها بأمر زوجها(١) ثم يعتزلها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي استبضعت منه، ثم إن أحب أصابها.
- ومن الجمع: وهو أن يجتمع جمع دون العشرة ويدخلون على المرأة ذات راية، فيطئونـها كلهم، فإذا وضعت ومر لها من الوضع ليال أرسلت لهم، فلا يتخلف رجل منهم، فتقول: قد عرفتم ما كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان. تسمي من شاءت فيلحقه وإن لم يشبهه ولا يستطيع نفيه.(٢)
- ومن نكاح المقت: وهو أن ينكح أكبر أولاد الرجل زوجته.

ومن غير ذلك.

(**إِلٰى أَنْ بَدَا**) أي: ظهر سيدنا محمد ﷺ (**كَالْبَدْرِ**) أي: كالقمر ليلة كماله، فإن النبي ﷺ لما ولدته أمه ظهر بنور فائق على الأنوار كالبدر ليلة أربع عشر (**يَهْدِيْ**) ﷺ (**لِرَحْـمَانِ**) هذا تكملة البيت، أي: إلى طريق موصل إلى الله، فاللام بمعنى «إلى». والرحمن: من عظم إحسانه ودام امتنانه، كما قاله السيوطي.

وَكَانَ نَبِيًّا وَالـصَّـفِيُّ مُـجَنْدَلٌ ۞ عَلٰى بَابِ دَارِ الْخُلْدِ مَرْتَعِ وِلْدَانِ

---

(١) قوله: (**بأمر زوجه**) أي: كأن يقول زوجها: اطلبي من ذلك الرجل المباضعة، أي: المجامعة.

(٢) قوله: (**لا يستطيع نفيه**) أي: لا يستطيع هذا الرجل أن ينكر نسب الولد إليه.

(وَكَانَ) ﷺ **(نَبِيًّا، وَالصَّفِيُّ)** أي: صفيّ الله وهو آدم أبو البشر عَلَيْهِ السَّلَامُ **(مُجَنْدَلٌ)** أي: طريح ملقى في طينته **(عَلٰى بَابِ دَارِ الْخُلْدِ مَرْتَعِ وِلْدَانِ)** بكسر الواو، وهم: على صورة الأولاد خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة من غير ولادة أحد لهم كما خلقت الحور العين من غير ولادة.

قال ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته» رواه أحمد والبيهقي. وعن ميسرة قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» رواه البخاري. وقال الباجوري: أي: والحال أن آدم بين الروح والجسد، والظاهر أن المراد بالبينية في هذا الحديث عدم الطرفين الروح والجسد، أي: لاروح ولا جسد. وقال الشبراملسي: لعل المراد أن آدم على كل حال كائن بين الروح والجسد، وتلك الحال في الهيئة التي هو عليها حال كونه طينا، اهـ

وقول الناظم: «مرتع» بفتح الميم والتاء، أي: موضع الرتوع، أي: التنعم، وهو بدل من قوله: «دار الخلد».

وقد يفهم من كلام الناظم أن الولدان لم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة، وأن الجنة التي سكنها آدم هي جنة الخلد، وقد جرى الناظم على القول بأن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خلق على باب الجنة، ويشهد لذلك ما في العرائس[1] للثعلبي: كان جسد آدم ملقى على باب الجنة أربعين سنة، وكان يمطر عليه من الحزن ثم أمطر عليه سنة واحدة سرور، فلذلك كثر الغم في أولاده، وتصير عاقبتهم إلى الفرح والراحة.

وقيل: كان خلق آدم في الجنة يشهد لذلك ما روي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول

---

(١) قوله: **(العرائس)** أي: عرائس المجالس.

الله ﷺ قال: «لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك» رواه مسلم.

وقيل: كان في السماء ويشهد لذلك ما روي عن أبي نضرة قال: لما خلق الله آدم ألقى جسده في السماء لا روح فيه، فلما رأته الملائكة راعهم ما رأوا من خلقه. اهـ

وقيل: كان في الأرض بين مكة والطائف ويشهد لذلك ما روي عن ابن عباس: أن إبليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف، أي: بواد نعمان، لا روح فيه، فقال: ما خلق الله هذا؟ ثم دخل من فيه وخرج من دبره، وقال: إنه خلق لا يتمالك لأنه أجوف.

وَأَعْطَى لَهُ ذَاتَ الْعُلُوْمِ وَإِسْمَهَا ۞ لِآدَمَ قَدْ أَعْطَى فَلِلَّهِ مِنْ شَانِ

(**وَأَعْطَى**) الله تعالى (**لَهُ**) ﷺ، فاللام زائدة في المفعول الأول (**ذَاتَ الْعُلُوْمِ**) أي: المعلومات، فالذات هنا بمعنى: النفس والحقيقة (**وَإِسْمَهَا**) أي: العلوم، بقطع الهمزة للوزن (**لِآدَمَ**) أبي البشر ﷺ (**قَدْ أَعْطَى**) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أي: إن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يحصل له من العلوم إلا مجرد العلم بأسمائها بجميع اللغات، لكن أولاده تفرقوا في اللغات، فحفظ بعضهم العربية ونسي غيرها، وبعضهم التركية ونسي غيرها وهكذا.

والحاصل لنبينا محمد ﷺ هو العلم بحقائقها ومسمياتها. والواو في قوله: «واسمها» داخلة في قوله: «قد أعطى» ويتعدى لمفعولين، فقوله: «لآدم» مفعول أول، واللام فيه زائدة، وقوله: «اسمها» مفعول ثان.

(**فَلِلهِ مِنْ شَانِ**)، فـ«من» زائدة، أي: أمر يظهره، يخفض أقواما ويرفع آخرين.

إِلٰهِيَ رَوِّحْ رُوْحَـهُ وَضَـرِيْـحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

وَمَا زَالَ نُوْرُ الْمُصْطَفٰى مُتَنَقِّلًا ۞ مِنَ الطَّيِّبِ الْأَتْقٰى لِطَاهِرِ أَرْدَانِ
إِلٰى صُلْبِ عَبْدِ اللهِ ثُمَّ لِأُمِّهِ ۞ وَقَدْ أَصْبَحَا وَاللهِ مِنْ أَهْلِ إِيْمَانِ

(**وَمَا زَالَ نُوْرُ الْمُصْطَفٰى**) أي: المختار ﷺ (**متنقلا مِنَ الطيبِ الأتقٰى**) أي: الأزكى، أي: الصالح (**لِطَاهِرِ أَرْدَانِ**) جمع «ردن» بضم الراء، أي: الأصول[1]؛ ومعناه الأصلي: أصل كم القميص، واللام بمعنى «إلى»، أي: طاهر الأصول حتى وصل ذلك النور (**إِلٰى صُلْبِ**) أبيه ﷺ (**عَبْدِ اللهِ**) الذبيح (**ثُمَّ لِأمه**) ﷺ، قال ﷺ: «لم يلتق أبواي قط على سفاح، ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»، رواه أبو نعيم عن ابن عباس، وقال ﷺ: «لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». وقد استدل بعضهم بذلك على أن آباءه ﷺ وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر لا يقال في حقه: إنه طاهر بل نجس، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُوْنَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وأيضا إن المراد بقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِيْنَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] على أحد التفاسير تنقل نوره ﷺ من ساجد إلى ساجد[2]، وحينئذ فهذا صريح في أن أبوي النبي

---

(١) قوله: (**أي: الأصول**) وفي النسخة المطبوعة التي اعتمدت عليها (والأصول)، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) قال الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾ إننا حين نطلق كلمة الأب في أعرافنا نعلم أن اللغة التي نتكلها لغة منقولة بالسماع، مركوزة في آذاننا، ينطق بها لساننا، والعامية وإن كانت تحرف الفصيح إلا أن أصولها منقولة عن أسلافنا وآبائنا، وهم حين يريدون الأب =

ﷺ آمنة وعبد الله من أهل الجنة، لأنـهما أقرب المختارين له ﷺ، وهذا هو الحق. ولذلك قال الناظم: (**وَقَدْ أَصْبَحَا**) أي: صار عبد الله وآمنة (**وَاللهِ**)، هذا قسم، (**مِنْ أَهْلِ إِيْمَانِ**).

وَجَاءَ لِهٰذَا فِي الْحَدِيْثِ شَوَاهِدُ ۞ وَمالَ إِلَيْهِ الْجَمُّ مِنْ أَهْلِ عِرْفَانِ

(**وَجَاءَ**) أي: فإن الله أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له ﷺ (**لِهٰذَا**) أي: المذكور من أنـهما صارا من أهل الإيمان (**فِي الْحَدِيْثِ شَوَاهِدُ**). روي عن عائشة «أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيبا حزينا، فأقام به ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ ثم رجع مسرورا، قال: سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها» رواه الطبراني، وعنها أيضا قالت: «حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون، وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه، ثم نزل فقال: يا حميراء استمسكي، فاستندت إلى جنب البعير فمكثت مليا، ثم عاد إليّ، وهو فرح مبتسم، فقال: ذهبت لقبر أمي فسألت ربي أن يحييها فأحياها فآمنت بي» رواه أبو حفص بن شاهين، وكذا روي من حديث عائشة أيضا إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به، ذكره السهيلي (**وَمالَ إِلَيْهِ**) أي: إلى ذلك الحديث (**الْجَمُّ**) أي: الجماعة الكثيرة (**مِنْ أَهْلِ عِرْفَانِ**) أي: أهل حقيقة وكشف.

= الحقيقي يقولون له «أب» ولا يأتون باسمه الشخصي، فإذا جاء لك إنسان وقال لك: أبوك موجود؟ ولم ينطق باسم الوالد فهو يقصد والدك فعلا، لكن افرض أن لك عما، فيقول لك السائل: أبوك محمد موجود؟ لقد جاء هنا بتحديد الاسم العلم حتى ينصرف الذهن إلى السؤال عن العم، لأنه لو أراد الأب الحقيقي لما يذكر اسمه، واكتفى بالسؤال عنه بالأبوة فقط، إذن فلو قال الحق تعالى سبحانه وتعالى: (إذ قال إبراهيم لأبيه) ولم يحدد العلم لقلنا: إن آزر هو والد إبراهيم وليس عمه وبذلك يكون هو جد رسولنا، ولكن القرآن حدد الاسم وقال: (لأبيه آزر) أي: ميّز اسم الشخص ليخرج الأب الحقيقي من كلمة أب، وبذلك تنتهي الخلافية في هذه المسألة. (تفسير الشعراوي، ص: ٣٧٣٤، ج: ٦)

فَسَـلِّـمْ فَإِنَّ اللهَ جَـلَّ جَلَالُهُ ۞ قَدِيْرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ فِي كُلِّ أَحْيَانِ

(**فَسَلِّمْ**) أي: أقبل هذا الحديث ومكن ذلك الإحياء والإيمان بعده، فإحياؤهما وإيمانهما ليس بممتنع عقلا ولا شرعا، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحيي الموتى، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله تعالى على يده جماعة من الموتى، وإذا ثبت هذا فلا يمتنع إيمانهما بعد إحيائهما، ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته، فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يؤذي النبي ﷺ فإن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه تأذى ولده، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ولا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» (**فَإِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ**) أي: عظم عظمته (**قَدِيْرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ**) أي: إحياء الموتى (**فِي كُلِّ أَحْيَانِ**) أي في كل وقت شاء، وقوله: «فإن الله» تعليل لقوله: «فسلم»، وكذا ما عطف عليه وهو قوله:

وَإِنَّ الْإِمَامَ الْأَشْعَرِيَّ لَمُثْبِتٌ ۞ نَـجَاتَهُمَا نَصًّا بِمُحْكَمِ قُرْآنِ

(**وَإِنَّ الْإِمَامَ الْأَشْعَرِيَّ لَمُثْبِتٌ نَجَاتَهُمَا**) أي: والديه ﷺ (**نَصًّا بِمُحْكَمِ قُرْآنِ**) أي: وقد أطلقت الأئمة الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والفقهاء من الشافعية على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا، وقد تمسكوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُوْلًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولا شك أنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة ولا تعذيب قبلها، وأصوله ﷺ إلى إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا من أهل الفترة، وهم في حكم المسلمين بنص الآية المذكورة، وكذا من بين كل رسولين.

فإذا قلت: إذا قررتم أنهما من أهل الفترة وأنهما لايعذبان، فما فائدة الإحياء؟

قلت: فائدته إتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة، لأن غاية أمرهما أنهما ألحقا بالمسلمين في مجرد السلامة من العذاب.

وأما مراتب الثواب العلية فهما بمعزل عنها فأتحفا بمرتبة الإيمان زيادة في شرف كمالهما لحصول تلك المراتب لهما، قاله ابن حجر في شرح الهمزية.

وقول الناظم: «نصا» حال من الضمير المستتر في «مثبت». قوله: «بمحكم» متعلق به، أي: متمسكا بذلك ومستندا إليه، ويجوز أن يكون حالا من قوله: «بمحكم قرآن». وقوله: «بمحكم» متعلق بقوله «مثبت»، أي: منصوصا ومصرحا. وقوله: «بمحكم قرآن» من إضافة الصفة للوصوف مع تقدير مضاف، أي: بآية قرآن محكمة، أي: متقنة ومنزهة عن نقص يلحقها وواضحة الدلالة ولو بالتأويل.

وَحَاشَا إِلٰهُ الْعَرْشِ يَرْضٰى جَنَابُهُ ۞ لِوَالِدَي الْمُخْتَارِ رُؤْيَةَ نِيْرَانِ

(**وَحَاشَا**) أي: تنزه (**إِلٰهُ الْعَرْشِ**)، «حاشا» هنا: اسم فاعل بمعنى «بريء» كما قاله ابن الحاجب، أي: بريء إله العرش من أن (**يَرْضٰى جَنَابُهُ**) أي: حضرته تعالى (**لِوَالِدَي الْمُخْتَارِ رُؤْيَةَ نِيْرَانِ**)، جمع «نار» وهي مؤنثة. قال القسطلاني: ولقد أطنب بعض العلماء في الاستدلال لإيمانهما، فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل، انتهى.

فائدة: رأى رجل صالح من المالكية رسول الله ﷺ في المنام وسمعه يقول: «من قال كل يوم: أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِأَبَوَيْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، مائة مرة، أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، مائة مرة أيضا، كنت معه أينما كان». وهذا دليل على أنهما مؤمنان، وإلا فلا فائدة في الاستغفار.

وَقَدْ شَاهَدَا مِنْ مُعْجِزَاتِ مُحَمَّدٍ ۞ خَوَارِقَ آيَاتٍ تَلُوْحُ لِأَعْيَانِ

(**وَقَدْ شَاهَدَا**) أي: عاين والداه ﷺ (**مِنْ مُعْجِزَاتِ مُحَمَّدٍ**) ﷺ، وتسمية الخوارق بالمعجزات مجاز أو جرى على إصلاح السلف كالإمام أحمد، فإنهم يطلقون المعجزة على كل خارق، ولكن الأشهر الذي عليه أكثر علماء الكلام وغيرهم أن المعجزة لا تطلق حقيقة إلا على الأمور الخارقة للعادة المقرونة بالتحدي الدالة على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. والتحدي هو طلب المعارضة والمقابلة (**خَوَارِقَ آيَاتٍ**) أي: علامات دالة على نبوته ﷺ ورسالته، وهذا من إضافة الصفة للوصوف، أي: آيات دالة على ذلك خارقة للعادة. وقوله: «من معجزات» متعلق بمحذوف حال منه (**تَلُوْحُ**) أي: تظهر تلك الآيات الخارقة للعادة (**لِأَعْيَانِ**) جمع «عين»، وهذا الجمع قليل، والأكثر أن جمع «عين» للباصرة «عيون» و«أعين».

ولعل الناظم أراد بهذا البيت الاستدلال على إيمان والدي رسول الله ﷺ، فكأنه قال: وكيف لا يكونان مؤمنين؟ والحال أنهما قد شهدا آياتٍ خارقةً للعادة دالة على رسالته ﷺ، وأن العرف جار بأن الولد أحب إلى أبويه من غيره.

والآيات الخارقة للعادة التي عاينتها آمنة كثيرة: منها خروج النور من فرجها وقت ولادته ﷺ، كما روي أنها قالت: كأنه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض حتى رأيت قصور الشام، رواه بريدة، والتي شاهدها عبد الله مخاطبة الأحجار إياه وغير ذلك، كما ذكره محمد السمنودي في الدر الثمين بقوله: إن عبد الله خرج مع أبيه عبد المطلب ليلة من الليالي، وكانت ليلة الجمعة ثامن عشر من جمادي الآخرة، فسارا حتى وصلا إلى عرفات، وتأخر عبد الله عن أبيه لقضاء حاجته، وإذا بنهر ماء يجري

أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج، وإذا بهاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه: يا عبد الله اشرب من هذا الماء واغتسل من هذا النهر وواقع زوجتك تأتك بأكرم الأولين والآخرين. فاغتسل وتطهر وشرب، فلما فرغ غار الماء وعادت الأرض يابسة، وأسرع عبد الله إلى منزله، فنادته: يا عبد الله آن أوان ظهور سيد ولد عدنان. وخاطبته الأحجار والأشجار، وقالت له: أيها العبد الكريم سر إلى زوجتك من وقتك وساعتك. فأسرع عبد الله مقبلا إلى زوجته آمنة، فلما وصل إليها، قال لها: تطهري وتطيبي فقد آن أن أودعك وديعة الجبار الذي أودعها لأنبيائه ورسله وأحبابه. فشمت منه روائح المسك فقامت وتطهرت وتعطرت ثم أتت فراشها، فواقعها فحملت من وقتها بسيد الأنام ورسول الملك العلام، وقد فقد النور من وجهه وانتقل إلى آمنة فزادت بذلك حسنا وجمالا وبهاء وكمالا، انتهى.

إِلٰهِيَ رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

❊ ❊ ❊

فَمِنْهَا ضِيَاءٌ لَاحَ لَيْلَةَ مَوْلِدٍ ۞ أَضَاءَتْ بِهِ بُصْرٰى وَسَائِرُ أَكْوَانِ

(**فَمِنْهَا**) أي: الآيات الخارقة للعادة بقطع النظر عن كونها مشاهدة لوالديه ﷺ، وإلا لم يصح، لأن الآيات التي سيذكرها الناظم لم يشاهدها عبد الله بناء على أنه مات وقت حمله ﷺ كما سيشير إلى ذلك الناظم، (**ضِيَاءٌ**) أي: نور وإشراق (**لَاحَ**) أي: ظهر (**لَيْلَةَ مَوْلِدٍ**) أي: ولادته ﷺ (**أَضَاءَتْ**) أي: استنارت (**بِهِ**) أي: بذلك الضياء (**بُصْرٰى**)،

والمراد بها بلد بالشام من أعمال دمشق، بينها وبينها نحو مرحلتين، وهي أيضا قرية ببغداد كما في القاموس (**وَسَائِرُ أَكْوَانِ**) أي: الموجودات. روي أن آمنة قالت: لما فصل، أي: هذا الولد، مني خرج معه نور، أي: في اليقظة، أضاء له ما بين المشرق والمغرب، أي: ما بين آخر المشرق وآخر المغرب.

وَلَاحَتْ قُصُوْرُ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ مَكَّةٍ ۞	**رَأَتْ أُمُّهُ مِنْهَا شَوَامِخَ بُنْيَانِ**

(**وَلَاحَتْ**) أي: ظهرت (**قُصُوْرُ الشَّامِ**) بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها، و«القصور» جمع «قصر»، مثل: «فلس» و«فلوس»، وهي بيت الملك، (**مِنْ أَرْضِ مَكَّةٍ**) بالصرف للوزن، (**رَأَتْ**) أي: أبصرت إبصارا كاملا (**أُمُّهُ**) ﷺ (**مِنْهَا**) أي: من أرض مكة (**شَوَامِخَ بُنْيَانِ**)، هذا من إضافة الصفة إلى الوصوف، أي: البنيان الشوامخ، أي: المرتفعة.

روي عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة قالت: لقد رأيت ليلة وضعه، أي: هذا الولد، نورا أضاءت له القصور الشام حتى رأيتها، رواه أبو نعيم. وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزالت به ظلمة الشرك، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُوْرٌ وَكِتَابٌ مُبِيْنٌ ۝ يَهْدِيْ بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِهِ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وأما إضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه، فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته، فإنها دار ملكه، كما ذكر كعب أن في الكتب السالفة: محمد رسول الله، مولده بمكة، ومهاجره بيثرب، وملكه بالشام. فمن مكة بدت نبوة نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإلى الشام انتهى ملكه، ولهذا أسري به ﷺ إلى الشام إلى بيت المقدس، كما هاجر

قبله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الشام، وفيها ينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهي أرض المحشر والنشر.

ومن عجائب ولادته ﷺ أن البيت الحرام اهتز ثلاثة أيام، وسجد إلى جهته ثلاث مرات، كذا في مطلع الأنوار.

وَمِنْهَا لَقَدْ غَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةٍ ۞ وَمَوْضِعُهَا مَا بَيْنَ قُمٍّ وَهَمْذَانِ

(**وَمِنْهَا**) أي: من الآيات الخارقة للعادة وقت ولادته (**لَقَدْ غَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةٍ**)، بالصرف للوزنن، أي: غار ماؤها في الأرض فلم يبق فيها قطرة، وهي: بلاد فارس في مملكة عراق العجم، بينها وبين الريّ اثنان وعشرون فرسخا. وتسمى بحيرة طبرية أيضا، وهي غير بحيرة طبرية التي في بلاد الشام، فهي إنما نقص ماؤها فقط، وغيضها إنما يكون حال خروج يأجوج ومأجوج، فإن أوائلهم يمرون عليها، فيشربون ماؤها، وأما آخرهم فحين يمرون عليها يقولون: لقد كان بهذا أثر ماء. وتصغير «بحيرة» للتعظيم. لأن طول بحيرة ساوة أكثر من ستة فراسخ، وعرضها كذلك، وأما طول بحيرة طبرية التي في بلاد الشام فعشرة أميال، وعرضها ستة، وبينها وبين الصخرة ثمانية عشر ميلا.

(**وَمَوْضِعُهَا**) أي: بحيرة ساوة (**مَا بَيْنَ قُمٍّ**) اسم قرية (**وَهَمْذَانِ**)، بالذال المعجمة، وهي: بلد بناه همذان بن الفلوح بن سام بن نوح. أما همدان بالدال المهملة، فهي: قبيلة بأيمن، كما في القاموس.

وَفَاضَ مَعِينٌ فِي سَمَاوَةَ لَمْ يَكُنْ ۞ بِهِ قَبْلُ مَاءٌ يَنْقَعَنَّ لِظَمْآنِ

(**وَفَاضَ مَعِيْنٌ**) بفتح الميم، أي: كثر ماء جار على وجه الأرض حتى سال من شقه الوادي (**فِي سَمَاوَةَ**)، وهي: فلاة بين الشام والكوفة (**لَمْ يَكُنْ بِهِ**) أي: في ذلك المحل (**قَبْلُ**) مبني على الضم، أي: قبل ذلك الوقت (**مَاءٌ يَنْقَعَنَّ**) أي: يسكنن (**لِظَمْآنِ**) أي: لعطشان.

وَأُخْـمِدَتِ النِّيْرَانُ مِنْ أَرْضِ فَارِسٍ	**وَأَصْبَحَ كِسْرٰى مُشْفِقًا كَسْرَ إِيْوَانِ**

(**وَأُخْـمِدَتِ النِّيْرَانُ**) أي: انطفأ لهبها مع بقاء جمرها، وإلا قيل: «همدت» بالهاء، أي: سكن ليلة مولده لهب كل واحد من بيوت نار المجوس التي كانوا يعبدونـها ويشتد إيقادهم لـها، حتى إن لـها ألف سنة لم تخمد، بل كانت توقد ليلا ونـهارا فخمدت تلك الليلة، ولم يقدروا على إيقادها، لكن لم يعبدها في جميع مدة ملكهم وهي ثلاثة آلاف سنة وأربعة وستون، وإنما حدثت عبادتـهم لـها في أثناء تلك المدة (**مِنْ أَرْضِ فَارِسٍ**)، وفارس: اسم لطائفة من العجم، وهم: أمة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق، وهي من الفراسة – بفتح الفاء – أي: الشجاعة. وكسرى: من أجلّ ملوكهم، (**وَأَصْبَحَ**) أي: صار (**كِسْرٰى**) بفتح الكاف وكسرها، ليلة مولده ﷺ (**مُشْفِقًا**) أي: خائفا (**كَسْرَ إِيْوَانِ**). واسم كسرى في ذلك الوقت أنوشروان بن قباذ ابن فيروز، ملك بعد ولادة النبي ﷺ ثمان سنين، وقتله ابنه هرمز، ثـم تولى بعده ابنه أبرويز.

و«كسرى» لقب لكل ملك من الفرس كـ«قيصر» لملك الروم، و«تبع» لملك اليمن، و«النعمان» لملك العرب، و«النجاشي» لملك الحبشة، و«فرعون» لملك القبط، و«العزيز» لملك مصر، و«جالوت» لملك البربر، و«خاقان» لملك الترك.

وأنوشروان هو: الذي بنى ذلك الإيوان بالآجُرّ الكبار والجص، والإيوان هو

صُفَّة طويلة واسعة، في أولـها عقد، وبابه واسع. وقيل: هو البيت العالي. وقيل: بيت كبير مستطيل ذو شرفات. وقيل: بيت الملك المعد لجلوسه مع أرباب مملكته لتدبير ملكه. والحاصل أن ذلك الإيوان كان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء وإحكاما.

وَخَرَّتْ لَهُ الشُّرْفَاتُ مِنْ شَامِخِ الْبِنَا ۞ وَبَاتَ مَرُوْعًا حَاسِيًا كَأْسُ أَحْزَانِ

(**وَخَرَّتْ**) أي: سقطت في تلك الليلة (**لَهُ**) أي: لذلك الإيوان (**الشُّرْفَاتُ**)، وهي بناء مخصوص يجعل على الحائط للزينة (**مِنْ شَامِخِ الْبِنَا**)، هذا من إضافة الصفة للموصوف، أي: من البناء الشامخ، أي: العالي (**وَبَاتَ**) أي: صار كسرى الذي هو أنوشروان (**مَرُوْعًا**) بفتح الميم أي: فزعا (**حَاسِيًا**) أي: متجرعا (**كَأْسُ أَحْزَانِ**) جمع «حزن» بضم الحاء وسكون الزاي مثل: «قفل» و«أقفال»، أو بفتحهما مثل: «سبب» و«أسباب». فشبه الحزن بالماء في السريان لجميع الأعضاء، وذلك لأن ذلك الإيوان تحرّك واهتزّ وصوّت صوتا شديدا كالرعد حتى انشق من غير خلل في بنائه شقا بينا آل به إلى خرابه.

وَقَدْ كَسَّرَ اللهُ الْمُهَيْمِنُ مُلْكَهُمْ ۞ عَلَى عَدَدِ الشُّرْفَاتِ جِيْءَ بِغِلْمَانِ

(**وَقَدْ كَسَّرَ اللهُ الْمُهَيْمِنُ**) بضم الـميم الأولى وكسر الثانية وقد تفتح الثانية، وهو من أسماء الله تعالى بمعنى «المؤمن: من آمن غيره من الخوف»، وهو «مؤأمن» فقلبت الهمزة الثانية ياء ثم الأولى هاء، أو بمعنى «الأمين» أو «الشاهد» (**مُلْكَهُمْ عَلَى عَدَدِ الشُّرْفَاتِ**) الساقطة، وهي أربعة عشر، أي: إن في سقوط الأربع عشرة شرافة إشارة إلى

أنه يملك منهم ملوك ومليكات بعدد الشرفات، وقد ملك منهم عشرة في أربع سنين في حياته ﷺ وأربعة إلى زمن عثمان بن عفان، وقد فتح في زمن عمر أكثر أقاليم فارس، وكسر كسرى وأهين غاية الهوان وتقهقر إلى أن سار إلى أقصى مملكته، ثم قتل في زمن عثمان وزال ملكه بالكلية. والجار والمجرور متعلق بـ«جيء». والمعنى: بقي من ملوكهم أربعة عشر كعدد الشرفات الساقطة، أوبـ«كسّر» لأن هؤلاء الملوك كلهم مقتولون، فبعضهم مقتول ببعضهم وبعضهم بالصحابة. (**جِيْءَ**) أي: ملكهم أو عدد الشرفات (**بِغِلْمَانِ**) أي: بملوك أقوياء.

مُلُوْكِ بَنِي كِـسْـرٰى رِجَالٍ وَنِسْـوَةٍ ۞ وَمَا مَلَكُوْا فِي الْفُرْسِ مِنْ جَمِّ بُلْدَانِ

(**مُلُوْكِ بَنِي كِسْرٰى**)، فـ«ملوك» بالجر بدل من الضمير في «ملكهم» أو من «غلمان» (**رِجَالٍ وَنِسْوَةٍ**) هو عطف بيان على «ملوك» أو بدل منه أو بدل من «غلمان»، أي: هؤلاء الملوك الأربعة عشر لم يكن جميعهم ذكورا بل كان منهم امرأتان (**وَمَا مَلَكُوْا فِي الْفُرْسِ**) بضم الفاء (**مِنْ جَمِّ بُلْدَانِ**)، هذا من إضافة الصفة للوصوف، أي: من البلدان الجمة، أي: الكثيرة.

وقوله: «وما ملكوا» معطوف على «ملكهم» عطف تفسير، و«في» في قوله: «في الفرس» بمعنى «على»، و«من» في قوله: «من جم بلدان» لمجرد الابتداء، ومفعول «ملكوا» محذوف، أي: وكسر الله ما ملكوا على الفرس أمرهم، أي: ما تولوا السلطنة، أو معطوف على الضمير في «ملكهم»، أي: وكسر الله ملك ما ملكوا، فـ«من» في قوله: «من جم» حينئذ بيان لـ«ما».

بِدَعْـوَةِ طٰهٰ مَـزَّقَ اللّٰهُ مُلْكَهُمْ ۞ كَـتَـمْـزِيْقِ مَسْطُوْرٍ دَعَاهُ لِدَيَّانِ

(**بِدَعْوَةِ طٰهٰ**) ﷺ، الجار والمجرور متعلق بـ«مزّق» (**مَزَّقَ اللهُ مُلْكَهُمْ**) أي: أذهب أثره، وكان أموال كسرى وكنوزه تنفق في سبيل الله تعالى (**كَتَمْزِيْقِ مَسْطُوْرٍ**) أي: مكتوب (**دَعَاهُ لِدَيَّانِ**) أي: إلى دين الله، فاللام بمعنى «إلى». ومعنى «الديان»: القهار والقاضي والمجازي لأعمال العباد إن خيرا فخير وإن شرا فشر. والضمير المستتر يعود إلى «مسطور»، والبارز يعود إلى «كسرى». واسم الذي مزق كتابه ﷺ أبرويز بن هرمز أنوشروان، فلما قتل أبرويز تولى بعده ابنه شيرويه .

روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.

وروي أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول الله ﷺ: «أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فسيكون لهم بقية».

ولفظ ما جاء إلى كسرى: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن توليت فعليك إثم المجوس».

ولفظ ما جاء إلى قيصر: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون». وكان عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسل هذا الكتاب مع دحية بن خليفة إلى هرقل في آخر سنة ست بعد أن رجع من الحديبية.

وقوله: «يؤتك الله أجرك مرتين» أي: لكونه مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ. وقوله: «فإن عليك إثم الأريسيين» أي: فإن عليك مع إثمك إثم الأتباع بسبب أنهم اتبعوك على استمرار الكفر.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞	**بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ**

* * *

وَأَخْصَبَتِ الْأَقْطَارُ مِنْ بَعْدِ جَدْبِهَا ۞	**وَأُدْنِيَتِ الْأَثْمَارُ لِلْقَاطِفِ الْجَانِي**

(**وَأَخْصَبَتِ الْأَقْطَارُ**) أي: نمت أقطار الأرض، أي: نواحيها، قوت الآدميين والدواب (**مِنْ بَعْدِ جَدْبِهَا**) أي الأقطار. والجدب: هو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلإ والزرع (**وَأُدْنِيَتِ الْأَثْمَارُ**) أي: قربت (**لِلْقَاطِفِ**) أي: للقاطع (**الْجَانِي**) أي: المجتني، أي: إن قريشا كانت في جدب شديد وضيق عظيم، فلما استقر نور النبي ﷺ

في بطن آمنة أخضرت الأرض بسبب الخضراوات التي ظهرت على وجهها وحملت الأشجار بالثمار، وأتاهم الجماعة الكثيرة والخير الكثير من كل جهة، فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والابتهاج، أي: فتح الخير والإضاءة.

وَخَرَّتْ عَلَى الْأَفْوَاهِ حُزْنًا وَحَسْرَةً ۞ تَمَاثِيْلُ أَصْنَامٍ عُبِدْنَ وَصُلْبَانِ

(**وَخَرَّتْ**) أي: نكست (**عَلَى الْأَفْوَاهِ حُزْنًا وَحَسْرَةً**) بالحاء المهملة،أي: تلهفا، أي: شديد ندامة (**تَمَاثِيْلُ**) أي: تصاوير (**أَصْنَامٍ**) أي: أصنام جميع الدنيا لا بعضها فقط (**عُبِدْنَ**) للمشركين (**وَصُلْبَانِ**). جمع «صليب». وهو للنصارى، وهو ما جعل من الذهب أو من غيره على هيئة الشخص المصلوب، وهو في اعتقادهم تصوير سيدنا عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أي: لما حملت آمنة برسول الله ﷺ صارت أصنام الدنيا منكوسة، أي: مقلوبة بحيث صار أعلاها أسفلها وبالعكس.

وَبِالْحَمْلِ نَادَتْ فِي قُرَيْشٍ دَوَابُهَا ۞ بِقَوْلٍ فَصِيْحٍ مُخْرِسٍ كُلَّ مِلْسَانِ

(**وَبِالْحَمْلِ**) أي: بحمل رسول الله ﷺ (**نَادَتْ**) أي: نطقت (**فِي قُرَيْشٍ**) أي: عندها (**دَوَابُهَا**) أي: قريش (**بِقَوْلٍ فَصِيْحٍ مُخْرِسٍ كُلَّ مِلْسَانِ**) بكسر الميم، أي: الفصحاء. أي: من دلالة حمل آمنة رسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، كما رواه ابن عباس. وقيل: حملت آمنة بالنبي ﷺ يوم الإثنين، وقيل: ليلة الجمعة من شهر رجب أول يوم منه.

وَأَصْبَحَتِ الْأَحْبَارُ تَلْهَجُ جَهْرَةً ۞ بِأَخْبَارِهِ الْحُسْنٰى وَسَائِرُ كُهَّانِ

(**وَأَصْبَحَتِ الْأَحْبَارُ**) بالحاء المهملة، جمع «حبر» بكسر الحاء، أي: وصارت العلماء (**تَلْهَجُ**) أي: تسرع (**جَهْرَةً بِأَخْبَارِهِ**) أي: رسول الله ﷺ، بفتح الهمزة، جمع «خبر» كـ«سبب» وأسباب» (**الْحُسْنٰى**) بضم الحاء وبالقصر (**وَسَائِرُ كُهَّانِ**) جمع «كاهن»، وهو المخبر بالأمور الخفية والغيبة البعيدة، وهذا معطوف على «الأحبار».

تَقُوْلُ: غَدًا شَمْسُ الْهِدَايَةِ تَنْجَلِي ۞ وَيَنْجَابُ لَيْلُ الشِّرْكِ بِالْأَغْيَدِ الْغَانِي

(**تَقُوْلُ**) أي: الأحبار وسائر الكهان، هذا بدل من «تلهج»، بدل كل من كل (**غَدًا**) أي: بعد مدة قريبة (**شَمْسُ الْهِدَايَةِ**) للخلق إلى الله تعالى (**تَنْجَلِي**) أي: تظهر (**وَيَنْجَابُ**) أي: ويذهب وينمحى (**لَيْلُ الشِّرْكِ بِالْأَغْيَدِ**) أي: المليح الناعم البدن (**الْغَانِي**) أي: الغني بالحسن عن الزينة.

وَلَمَّا مَضٰى شَهْرَانِ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ ۞ تُوُفِّيَ بِالْفَيْحَاءِ وَالِدُهُ الْهَانِي

(**وَلَمَّا مَضٰى**) أي: تم (**شَهْرَانِ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ**) ﷺ على الراجح المشهور، وقيل: وهو ﷺ في المهد قاله الدولابي، وقيل: وهو ابن شهرين، وقيل: وهو ابن سبعة أشهر، وقيل: وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا (**تُوُفِّيَ**)، يتعين هنا قراءته بالبناء للمفعول (**بِالْفَيْحَاءِ**)، بالحاء المهملة: وهو اسم المدينة النبوية، فإن أسماءها بلغت نحو سبعين اسما في خلاصة الوفاء. (**وَالِدُهُ**) ﷺ عبد الله (**الْهَانِي**) أي: الذي حصل له السرور.

أَتَاهَا سَقِيْمَ الْجِسْمِ مِنْ أَرْضِ غَزَّةٍ ۞ أَقَامَ بِهَا شَهْرًا وَسَارَ لِرِضْوَانِ

(**أَتَاهَا**) أي: الفيحاء (**سَقِيْمَ الْجِسْمِ**)، وهو مع جماعة من قريش سافروا للتجارة، أي: رجع ضعيفا (**مِنْ أَرْضِ غَزَّةٍ**)، بالصرف للوزن، وهو بلد بفلسطين، فيها ولد الإمام الشافعي، ومات بها هاشم بن عبد مناف، أي: وهو مارّ مع الجماعة إلى المدينة لأن عبد المطلب كان بعثه إلى غزة من الشام يمتار له تمرا مع تجار قريش كما ذكره المدابغي.

ثم (**أَقَامَ بِهَا**) أي: الفيحاء مريضا (**شَهْرًا وَسَارَ لِرِضْوَانِ**) أي: إلى رضوان الله تعالى، فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه، فقالوا: خلفناه مريضا، فبعث إليه أخاه الحرث، فوجده قد توفي ودفن بالمدينة في دار التابعة - بالمثناة الفوقية بعدها ألف فموحدة فعين مهملة - وهو رجل من بني عدي بن النجار، وقيل: دفن بالأبواء قرية عند الفرع من عمل المدينة. وفي الدر الثمين: أتى والد رسول الله ﷺ مدينة يثرب ليشتري تمرا وزبيبا وسمنا ليصنع وليمة فأتاه هاذم اللذات ومفرق الجماعات فمات هناك، فلما جاء الخبر إلى أبيه عبد المطلب بكى، فلما مات عبد الله والد رسول الله ﷺ ضجت الملائكة لخالقها عَزَّوَجَلَّ، وقالت: يا رب بقي حبيبك ونبيك محمد يتيما، فأوحى الله تعالى إليهم: يا ملائكتي أنا أولى به من أمه وأبيه، وأنا خالقه وكافيه وحافظه ومربيه وناصره على من يعاديه، فلا يحتاج إلى سواي، ولا يعتز بأعز مني، وأنا حافظه وحارسه. اهـ

وَفِي كُلِّ شَهْرٍ تَمَّ مِنْ حَمْلِ أَحْمَدَ ۞ لِإِظْهَارِهِ فِي الْكَوْنِ يَبْدُوْ نِدَاءَانِ

(**وَفِي كُلِّ شَهْرٍ تَمَّ مِنْ**) شهور (**حَمْلِ أَحْمَدَ**) ﷺ (**لِإِظْهَارِهِ**) أي: أحمد (**فِي الْكَوْنِ**) أي: في الوجود (**يَبْدُوْ نِدَاءَانِ**) من الملائكة: نداء في الأرض ونداء في السماء، أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ميمونا مباركا، وقوله: «وفي كل شهر» متعلق بـ«يبدو» لا بـ«نداءان»، وقوله: «من حمل» متعلق بـ«تم»، وقوله: «لإظهاره» متعلق بـ«نداءان» تعليل له، أي: وإنما يبدو نداءان لأجل إظهاره في الموجودات، ولذلك فرت وُحُوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذا حيتان البحار يبشر بعضها بعضا.

وَلَمْ تَشْكُ فِي حَمْلٍ بِهِ الْوَهْنَ أُمُّهُ ۞ سِوَى رَفْعِ حَيْضٍ دَلَّ عَنْهُ بِإِيْقَانِ

(**وَلَمْ تَشْكُ فِي حَمْلٍ بِهِ**) ﷺ (**الْوَهْنَ**) أي: الضعف (**أُمُّهُ**) ﷺ آمنة (**سِوَى رَفْعِ حَيْضٍ دَلَّ**) أي: ذلك الرفع (**عَنْهُ**) أي: الحمل، أي: عليه، فـ«عن» بمعنى «على» (**بِإِيْقَانِ**) أي: بيقين، وهو العلم الحاصل عن نظر واستدلال.

روي أن آمنة كانت تحدث أنها أُتِيَتْ - أي: وهي نائمة - حين حَمَلَتْ به ﷺ فقيل لها: إنكِ قد حملتِ بسيد هذه الأمة، وقالت: ما شعرتُ بأني حملتُ به ولا وجدتُ له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي، وربما كانت ترفع عني وتعود، أي: إنها كانت تَشُكّ في الحمل بسبب انقطاع دم الحيض عنها أحيانا، وقالت أيضا: أتاني آت وأنا النائمة واليقظانة، فقال: هل شعرتِ بأنكِ حملتِ بسيد الأنام، ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني، أي: يقظة وعيانا ، فقال لي: قولي :

أُعِيْذُهُ بِالْوَاحِدِ ۞ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِ

ثم سميه: محمدا، رواه ابن إسحاق. قوله: «ولا وحما» أي: ولا وجدت له، أي: للحمل وحما بفتحات. وهو اشتهاء الحبلى للموالح وغيرها. قوله: «ثم أمهلني»، أي: أخر إتيانه لي مدة، وعلم أن الرؤيا الأولى هي في النوم الصرف. ولما حصل أصل الاستئناس بالأولى كانت الثانية أقرب إلى التيقظ، ولما تم الاستئناس بالثانية كانت الثالثة عيانا وهكذا حالة الله مع نبيه دائما الترقي في الكمال، كما يشير له قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، وتكرر الرؤيا لزيادة التبشير والمسرة.

وَيَأْتِي لَهَا فِي الشَّهْرِ آتٍ مُبَشِّرًا ۞ يَقُوْلُ: حَمَلْتِ أَشْرَفَ الْإِنْسِ وَالْجَانِ

(**وَيَأْتِي لَهَا**) أي: آمنة، واللام زائدة في المفعول (**فِي الشَّهْرِ**)، اللام للاستغراق، أي: في جميع شهور حمله ﷺ (**آتٍ**) من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم (**مُبَشِّرًا يَقُوْلُ**) أي: الآتي: (**حَمَلْتِ أَشْرَفَ الْإِنْسِ وَالْجَانِ**).

قال محمد السمنودي في الدر الثمين: فلما استقر حمل آمنة وتتابعت شهورها فما من شهر يمضي عليها إلا ومناد ينادي في السموات ومواقف الملائكة وسائر أقطار الأرض: مضى لمحمد من أيامه كذا وكذا وبقي لولادته كذا وكذا، وكانت آمنة تهتف بها الهواتف بالليل والنهار عند خلوتها، وكانت تخبر عبد الله بذلك، فيقول: لها اكتمي أمركِ فسيكون لولدك شأن عظيم. حتى مضت لها ستة أشهر، وهي لا ترى في حملها ثقلا ولا ألما، بل كل يوم تزداد حسنا وجمالا، فلما دخلت:

- في الشهر الأول من شهورها تزلزل إيوان كسرى، فأتاها في منامها آدم فقال لها: أبشري بسيد العالم.

- وفي الشهر الثاني امتلات الأكوان بالبشرى، وأتاها في منامها إدريس وبشرها بصاحب التسبيح والتقديس.
- وفي الشهر الثالث غارت بحيرة ساوة، وأتاها في منامها نوح النصوح وبشرها بالنبي صاحب الفتوح.
- وفي الشهر الرابع فاض وادي سماوة، وجاءها شعيب وبشرها بمن بيده مفاتح الغيب.
- وفي الشهر الخامس كثرت الأنوار، وجاءها هود وبشرها بصاحب الشفاعة في اليوم الموعود.
- وفي الشهر السادس مات والد رسول الله ﷺ بالمدينة الشريفة، وأتاها نبي الله داود وبشرها بصاحب المقام المحمود.
- وفي الشهر السابع خمدت النيران، وأتاها في منامها نبي الله سليمان وبشرها بصاحب البيان والقرآن.
- وفي الشهر الثامن ذل كسرى وهان، وأتاها موسى الكليم وبشرها بصاحب الخلق العظيم.
- وفي الشهر التاسع سقط عن رأس كسرى التاج، وعظم أمره وهاج، فسأل الرهبان والكهان، فقالوا: قد أتى وبان مولد سيد ولد عدنان، وأتاها في منامها عيسى المسيح وبشرها بصاحب الوجه المليح.

ولما دخلت في الشهر التاسع :

- فأول ليلة منه حصل لآمنة السرور والهنا.
- وفي الليلة الثانية بشرت بنيل المنى.

- وفي الليلة الثالثة قيل لها: يا آمنة لقد حملت من يقوم بحمدنا وشكرنا.
- وفي الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة معلنا.
- وفي الليلة الخامسة رأت نبي الله الخليل، وقال لها: أبشري بالنبي الجليل صاحب النور والثنا.
- وفي الليلة السادسة دام الأنس والسرور والفرح والهنا.
- وفي الليلة السابعة سطع نور الرضا وعمّ الغنى.
- وفي الليلة الثامنة طافت الملائكة بيت آمنة لما قرب وضعه ودنا.
- وفي الليلة التاسعة بدا سعدها والمنى.
- وفي الليلة العاشرة زال عنها التعب والعنا.
- وفي الليلة الحادية عشرة صاحت الملائكة لخالقها بالحمد والثنا.
- وفي الليلة الثانية عشرة ولد سيد البشر، وكانت ليلة الإثنين ثاني عشر ربيع الأول على أصح الأقوال. اهـ

وَمُذْ تَمَّ حَـمْلُ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ ۞ أَتَى أُمَّهُ فِي الطَّلْقِ أَرْبَعُ نِسْوَانِ

(وَمُذْ) أي: وقت **(تَمَّ حَمْلُ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ)** ﷺ **(أَتَى أمّه)** ﷺ **(فِي)** حال **(الطَّلْقِ)** أي: وجع الولادة ولم يعلم بها أحد لا ذكر ولا أنثى كما في المواهب **(أَرْبَعُ نِسْوَانِ)** كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بها، فهي تتعجب وتقول: واغوثاه من أين علمن بي؟ فقلن لها: نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين، وإلى هذا أشار الناظم:

فَثِنْتَانِ مِنْ حُوْرِ الْجِنَانِ تَبَدَّتَا ۞ وَآسِيَةٌ مَعْ مَرْيَمٍ بِنْتِ عِمْرَانِ

(**فَثِنْتَانِ مِنْ حُوْرِ الْجِنَانِ تَبَدَّتَا**) أي: ظهرتا (**وَآسِيَةٌ**)، بالصرف للوزن، وهي بنت مزاحم، وكانت عمةَ موسى، وهي ذات فراسة صادقة ولذا قالت في موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قرة عين لي. وقد اختارت القتلَ على الملك والعذابَ على النعيم (**مَعْ**) بسكون العين (**مَرْيَمٍ**) بالصرف للوزن (**بِنْتِ عِمْرَانِ**) الصدّيقة بنص القرآن، وهي من ذرية سليمان ابن داود، وبينها وبينه أربعة وعشرون نبيا، وأقامت بمصر مع ولدها عيسى اثني عشر عاما، ثم رجعت به إلى الشام.

هُنَالِكَ شَدَّ الطَّلْقُ حَزْمَ نِطَاقِهِ ۞ وَجَاءَ لَهَا السَّاقِي بِكَأْسٍ هَنًا هَانِ

(**هُنَالِكَ**) أي: في ذلك الوقت (**شَدَّ الطَّلْقُ حَزْمَ نِطَاقِهِ**)، والحزم هو الربط، والنطاق بكسر النون هو: شبه إزار فيه تِكَّة تلبسه المرأة، وقيل: النطاق أن تلبس المرأة ثوبا ثم تشد وسطها بحبل وترسل الأعلى على الأسفل، وذلك كناية عن شدة الوجع، كما قالت آمنة: واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم. و«الوجبة» بسكون الجيم: السقطة، ولعل ذلك حركة الملائكة وأصواتها (**وَجَاءَ لَهَا**) أي: آمنة، أي: أعطاها (**السَّاقِي بِكَأْسٍ هَنًا هَانِ**)، و«الكأس»: الإناء الذي يشرب فيه، ومعنى «هنا» اللذة والمراد به الماء، ومعنى «هان» اللذيذ. كما قالت آمنة: رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب، أي: الخوف، وكل وجع أجده ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها وأصابني نور عال.

وفي الدر الثمين: ولما كملت آمنة العدد جاءها المخاض(١)، فنوديت من جانب البيت الحرام: آمنة تأهبي لولادة الولد الميمون، قالت: فبينما أنا مفكرة في ذلك إذ دخل عليّ نساء طوال الأعناق يفوح منهن روائح المسك الأذفر، عليهن ثياب السندس الأخضر متقنعات بمقانع العبقري الأحمر، وإذا بأيدهن كأسات من الذهب، فيها ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأطيب رائحة من المسك الأذفر، فأسقينني ذلك فأزال عني كل هلع وفزع، ثم تقدمت إحداهن إليّ، وقالت: الهناء لك والبشارة يا آمنة بسيد أهل الأرض والسماء خاتم النبيين ورسول رب العالمين، ثم تأخرت وتقدمت الأخرى، وقالت: من مثلك يا آمنة وقد جئت بالحبيب الأعلى والنور الأبهى والمشفع في الخلق غدا، قالت آمنة: وهن يُهَنِّئْنَنِي واحدة بعد واحدة ويخاطبنني بخطاب لم أسمع بأرقّ منه ولا أعذب لفظا.

فَأَطْلَعَتِ الْبَدْرَ الْمُنِيْرَ مُتَمِّمًا ۞	عَلٰى أَكْمَلِ الْأَوْصَافِ مَكْحُوْلَ أَعْيَانِ

(**فَأَطْلَعَتِ الْبَدْرَ الْمُنِيْرَ مُتَمِّمًا عَلٰى أَكْمَلِ الْأَوْصَافِ**). ويجب علينا أن نعتقد أن تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأن الله تعالى أوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده في آدمي مثله، وسر ذلك أن محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع الأخلاق وجلائل الصفات، ونبينا ﷺ قد بلغ الغاية التي لم يصل إليها غيره في كلٍّ مِن ذَيْنِكَ(٢)، أفاده ابن حجر. (**مَكْحُوْلَ أَعْيَانِ**)، وهذا الجمع لاثنين كما هو معلوم، يعني ولدته ﷺ أمه آمنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مكحول العينين بكحل قدرة الخالق الذي يقول

---

(١) قوله: (**المخاض**) أي: طلق الولادة.

(٢) قوله: (**ذينك**) اسم إشارة للتثنية في حالة النصب والجر، ورفعه: «ذانك». أي: من ذلك الخَلق والخُلق.

للشيء: كن فيكون.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

وَحِيْنَ بَدَا كَالشَّمْسِ هَلَّلَ صَارِخًا ۞ فَشَمَّتَهُ الْأَمْلَاكُ فِي الْحِيْنِ وَالْآنِ

(**وَحِيْنَ بَدَا**) أي: ظهر ﷺ (**كَالشَّمْسِ**) في ضياء وجهه ﷺ بالنور التام (**هَلَّلَ صَارِخًا**) بالخاء المعجمة، أي: صائحا (**فَشَمَّتَهُ الْأَمْلَاكُ فِي الْحِيْنِ وَالْآنِ**)، والتشميت: هو أن يقال للعاطس: رحمك الله، بالشين المعجمة، إذا دعا له بالسلامة من الشوامت، أي: المصائب، أو بالسين المهملة، إذا دعا له ببقاء سمته كما هو، لأن العطاس ربما كان سببا لتعويج العنق.

روي عن عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفاء بنت عمرو وهي دايَته، قالت: لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع، أي: نزل على يدي فاستهلّ فسمعت قائلا يقول: رحمك الله، قالت الشفاء: وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم ثم ألبسته وأضجعته. وأخذ بعض العلماء من قول الشفاء: «فاستهل فسمعت قائلا يقول: رحمك الله»، أنه ﷺ عطس حين الولادة وحمد الله تعالى، لأن التشميت لا يقال إلا على ما يقال عند العاطس ورده ابن حجر بقوله: حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة، وهذا هو الغالب من أحوال المولودين، فخلافه لا يصار إليه إلا بتصريح من يعتمد عليه فيه، أي: وأما الحديث الذي روته الشفاء ففيه لفظ يشبه

التشميت. وقال بعضهم: الاستهلال وإن كان هو صياح المولود أول ما يولد إلا أن حمله هنا على العطاس قريب كحمل القائل على الملك.

وفي مطلع الأنوار: ومن عجائب ولادته ﷺ أنه تكلم حين ولدته أمه، فقال: «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا» اهـ، فهو ﷺ ممن تكلم في المهد، وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة، وكان يناغي القمر وهو في مهده.

وروي عن عمه العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك علامة لنبوتك رأيتك في المهد تكلم القمر وتشير إليه بأصبعك فحيثما أشرت إليه مال القمر، فقال ﷺ: «كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته» أي: سقطته حين يسجد تحت العرش.

نَظِيْفًا وَسِيْعَ الصَّدْرِ بِالْحِلْمِ قَدْ سَمَا ۞ وَمَقْطُوْعَ سُرٍّ بَلْ بِأَكْمَلِ إِخْتَانِ

(**نَظِيْفًا**) أي: خاليا عن القذر. روي عن إسحاق بن عبد الله أن أم رسول الله ﷺ قالت لما ولدته: خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر، رواه ابن سعد. (**وَسِيْعَ الصَّدْرِ بِالْحِلْمِ قَدْ سَمَا**) أي: قد ارتفع ﷺ وفاق سائر الأنبياء والمرسلين بالحلم، أو المعنى: قد دل وسع الصدر على الحلم، أي: التأني في الأمور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وإن عظم (**وَمَقْطُوْعَ سُرٍّ**) بلا هاء في آخره، وهو ما تقطعه القابلة من سرة المولود (**بَلْ بِأَكْمَلِ إِخْتَانِ**) أي: هيئة المختون، لأن الختن القطع، ولا قطع هنا، قال ﷺ: «من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي»، أي: عورتي، وإنما ولد ﷺ مختونا لأنه في حقه غاية الكمال، فإن القلفة تمنع

كمال النظافة والطهارة، فأوجده ربه مكملا سالما من النقائص والمعايب، ولا يعترض بالعلقة التي أخرجت من قلبه لأنها لما كانت من الأمور الباطنة أخرجت ليظهر إخراجها على يد جبريل لأجل أن يتحقق الناس كمال باطنه كظاهره.

وقد حصل من الاختلاف في ختانه ﷺ ثلاثة أقوال:

- أحدها: أنه ولد مختونا كما تقدم وهو ما عليه أكثر العلماء.
- الثاني: أنه ولد غير مختون، وإنما ختنه جده عبد المطلب يوم سابع ولادته، وصنع له مأدبة، وسماه محمدا، رواه الوليد بن مسلم.
- الثالث: أنه ختنه جبريل عند حليمة حين طهر قلبه.

تَدَلَّتْ لَهُ الزُّهْرُ الَّتِي عَمَّ ضَوْؤُهَا ۞ رُبَى الْحَرَمِ الْمَكِّيْ وَسَائِرِ قِيْعَانِ

(**تَدَلَّتْ**) أي: قربت (**لَهُ**)، اللام بمعنى «إلى»، أي: إليه ﷺ (**الزُّهْرُ**) أي: الكواكب المضيئة كرامة له وتعظيما لم يقع نظره لغيره، وهذا جمع «أزهر» (**الَّتِي عَمَّ ضَوْؤُهَا رُبَى الْحَرَمِ الْمَكِّي**) نسبة إلى مكة، و«الربى» بضم الراء هي المحال المرتفعة (**وَسَائِرِ قِيْعَانِ**) جمع «قاع»، وهي المستوى من الأرض.

كما روي عن عثمان بن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله أنها قالت: لما احضرت ولادة رسول الله ﷺ رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي، رواه البيهقي.

إِلَى جَدِّهِ جَاءَ الْبَشِيْرُ مُسَارِعًا ۞ فَجَاءَ قَرِيْرَ الْعَيْنِ صَاحِبَ أَرْدَانِ

(**إِلَى جَدِّهِ**) ﷺ عبد المطلب، وهو يطوف بالبيت الحرام أو جالس في حجر إسماعيل (**جَاءَ الْبَشِيْرُ**) بأن آمنة ولدت غلاما (**مُسَارِعًا**) أي: مبادرا إليه (**فَجَاءَ**) أي: عبد المطلب بيت آمنة (**قَرِيْرَ الْعَيْنِ**) أي: فرح العين ومطمئنها برؤيته ﷺ فلا تطمح عينه إلى غيره ﷺ (**صَاحِبَ أَرْدَانِ**) جمع «ردن»، وهو أصل كم القميص، وهذا كناية عن شدة الفرح والسرور.

فَشَاهَدَ نُوْرَ اللهِ أَشْرَقَ مُسْفِرًا ۞ وَأُلْبِسَ مِنْ بُشْرَى الْهَنَاءِ رِدَاءَانِ

(**فَشَاهَدَ**) أي: عبد المطلب (**نُوْرَ اللهِ**) أي: نورا خلقه الله، وأضيف «النور» إلى «الله» تشريفا له (**أَشْرَقَ**) أي: أضاء ذلك النور ببيت آمنة (**مُسْفِرًا**) أي: مضيئا (**وَأُلْبِسَ**) أي: عبد المطلب (**مِنْ بُشْرَى الْهَنَاءِ**) أي: من الاستبشار الذي لا آفة فيه ولا نكد (**رِدَاءَانِ**)، هذا مفعول ثان لـ«ألبس»، وأما المفعول الأول فهو نائب الفاعل، ونصبه فتحة مقدرة على الألف بناء على لغة من يلزم المثنى الألف في الرفع والنصب والجر، وهم بنو الحرث ابن كعب وغيرهم، ولعل المراد بالرداءان: حصول الولد ورؤية النور.

وَأَدْخَلَهُ فِي كَعْبَةٍ وَدَعَا لَهُ ۞ وَعَوَّذَهُ بِالْبَيْتِ مِنْ حَاسِدٍ شَانِ

(**وَأَدْخَلَهُ**) ﷺ (**فِي كَعْبَةٍ**) شريفة (**وَدَعَا لَهُ**) ﷺ بدعاء الخير (**وَعَوَّذَهُ**) أي: رقاه (**بِالْبَيْتِ**) أي: ببركة البيت الذي يلتجئ إليه كل مستجير، أي: من يطلب الأمان (**مِنْ حَاسِدٍ شَانِ**) أي: مبغض.

وَقَامَ بِهِ يَدْعُوْ وَيَشْكُرُ رَبَّهُ ۞ عَلَى مَا لَهُ أَعْطَى بِصِدْقٍ وَإِذْعَانِ

(وَقَامَ بِهِ) أي: ﷺ (يَدْعُوْ) عند الكعبة الشريفة (وَيَشْكُرُ رَبَّهُ عَلٰى مَا لَهُ) أي: لعبد المطلب (أَعْطٰى) أي: الرب، فإنه يوقن بأنه الرسول المبعوث إلى كافة الخلق بالرحمة والخير. فـ«على» للتعليل، أي: لأجل إعطائه إياه (بِصِدْقٍ) أي: في النية بأن تكون النية خالصة من المحبطات (وَإِذْعَانِ) أي: خشوع. والجار والمجرور متعلق بـ«يدعو».

وفي الدر الثمين: قال عبد المطلب لما سقط رسول الله ﷺ على الأرض: نظرت إلى البيت الحرام وقد استمال نحو ولدي محمد، وخر ساجدا في مقام إبراهيم ثم استوى قائما سمعته يهلل ويكبر ويقول: طهر بي ربي بظهور المصطفى والرسول المجتبى، ثم انقضت الأصنام إلى الأرض حول الكعبة منكسة على رؤوسها، فلما رأيت ذلك خرجت أريد منزل آمنة، فإذا بغمامة بيضاء قد أظلت حجرتها، فلما رأيت ذلك دنوت من بيت آمنة فشممت منه روائح المسك والعنبر، فدخلت وإذا بآمنة ليس عليها أثر ولادة، ورأيت النور الذي في وجهها قد زال فاندهشت، وقلت لها: ما فعل بالنور الذي كان في وجهك، قالت: وضعته أتم وضع، فقلت لها: هلميه إليّ حتى أنظر إليه، فقالت: أتاني آت كالنخلة الباسقة، وقال لي: يا آمنة لا تنظري ولدي هذا لمخلوق حتى تمضي له ثلاثة أيام، فجرد عبد المطلب سيفه، وقال: أخبريني أمرك وإلا قتلت نفسي، فلما رأت ذلك قالت: شأنك وما تريدها هو في ذلك البيت، قال: فمضيت إلى البيت فلما دنوت منه وإذا أنا برجل لم أر أطول منه كالنخلة الباسقة شاهرا بيده سيفه فصرخ صرخة ارتعدت منها فرائصي وانذهل لبي، وقال: إلى أين تريد؟ فقلت: إلى ولدي أنظر إليه، فقال: قد حيل بينك وبينه ثلاثة أيام، فما كان بعد ثلاثة أيام وانقضت زيارة الملائكة له كشف للناظرين له وفرح به أهله وعشيرته، فنودي له في الأقطار هذا محمد النبي المختار رسول الملك الجبار فطوبى لحجر يضمه ولثدي يرضعه، فكان

أول من نظر إليه جده عبد المطلب فأومأ إلى جده كالمسلم فامتلأ البيت من نوره، وتبسم في وجه جده فضمه عبد المطلب إليه وقبل ما بين عينيه وجعل يقول:

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ أَعْطَانِي ۞ هٰذَا الْغُلَامَ الزَّائِدَ الْبُرْهَانِ
مَا مِثْلُهُ فِي إِنْسِهَا وَالْجَانِ ۞ هٰذَا الَّذِي سُمِّيَ فِي الْقُرْآنِ
بِأَحْمَدَ خَيْرِ بَنِي عَدْنَانِ ۞ أُعِيْذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
مِنْ كُلِّ عَبْدٍ جَائِلِ الْعَيْنَانِ ۞ يَرْمقُهُ وَلَيْسَ ذَا إِيْمَانِ
أُعِيْذُهُ بِقُدْرَةِ الرَّحْمٰنِ ۞ اَلْوَاحِدِ الْمُهَيْمِنِ الْمَنَّانِ
وَسَيِّدِيْ مُحَمَّدٌ الْعَدْنَانِي ۞ قَدْ فَاقَ بِالْحُسْنِ عَلَى الْغِلْمَانِ
أَحْمَدُ مَكْتُوْبٌ عَلَى اللِّسَانِ ۞ صَلَّى عَلَيْهِ الْوَاحِدِ الْفَرْدَانِي

والمراد باللسان هنا: أوراق الأشجار في الجنان وخيام الحور العين والولدان، وهو بالسين المهملة.

وَسَمَّاهُ بَعْدَ السَّبْعِ ثَمَّ مُحَمَّدًا ۞ لِيَحْمَدُهُ الْمَوْلٰى الْعَلِيُّ وَكَوْنَانِ

(وَسَمَّاهُ) ﷺ **(بَعْدَ السَّبْعِ)** أي: سبع ليال تامة **(ثَمَّ)** أي: في ذلك الوقت **(مُحَمَّدًا لِيَحْمَدُهُ الْمَوْلٰى)** أي: متولي أمورنا **(الْعَلِيُّ وَكَوْنَانِ)** أي: وجودان، والكونان: الدنيا والآخرة، وهو على تقدير مضاف، أي: أهل كونين، وصنع له مأدبة وعقّ عنه ﷺ بكبش، والمسمي له ﷺ بذلك عبد المطلب لموت أبيه قبل الولادة مع ماحدثته به أمه آمنة من أنه أتاها آت، وهي بين النائم واليقظان، وقال لها: إذا وضعته فسميه محمدا،

ولـما ذبح عنه جده عبد الـمطلب يوم السابع من الولادة دعا قريشا فلما أكلوا قالوا: ما سميته؟ قال: سميته محمدا، قالوا: لم سميت ولدك محمدا وليس هذا الاسم من أسماء آبائك وقومك؟ قال: رجوت أن يحمد في السماء وفي الأرض، وهذا بحسب الظاهر، وإلا فالمسمي له بذلك حقيقة هو الله تعالى، لأنه هو الذي ألهم جده ذلك، فهذا الاسم بتوقيف شرعي كسائر أسمائه ﷺ.

وَقَدْ سَنَّ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتُّقٰى ۞ قِيَامًا عَلَى الْأَقْدَامِ مَعْ حُسْنِ إِمْعَانِ

(**وَقَدْ سَنَّ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ**) أي: الخير (**وَالتُّقٰى**)، ومبدؤه اتقاء الشرك، وأوسطه اتقاء المحارم، وغايته البراءة من كل شيء سوى الله تعالى، وكذا يقال في التقوى. (**قِيَامًا عَلَى الْأَقْدَامِ**) أي: حكموا بسنيته شرعا. قال محمد السمنودي في الدر الثمين: وقيام الناس عند ذكره ﷺ بدعة حسنة (**مَعْ**) بسكون العين (**حُسْنِ إِمْعَانِ**) أي: خضوع.

بِتَشْخِيْصِ ذَاتِ الْمُصْطَفٰى وَهْوَ حَاضِرٌ ۞ بِأَيِّ مَقَامٍ فِيْهِ يُذْكَرُ بَلْ دَانِ

(**بِتَشْخِيْصِ ذَاتِ الْمُصْطَفٰى**) أي: رؤيته، أي: بأن يمثل نفسه كأنه يراه بعينه (**وَهْوَ**) ﷺ (**حَاضِرٌ**) في ذلك المجلس (**بِأَيِّ مَقَامٍ فِيْهِ يُذْكَرُ**) ﷺ (**بَلْ**) هو ﷺ (**دَانِ**) أي: قريب من الذاكر.

فَطُوْبٰى لِمَنْ تَعْظِيْمُهُ جُلُّ قَصْدِهِ ۞ وَيَا فَوْزَهُ يَحْظٰى بِعَفْوٍ وَغُفْرَانِ

(**فَطُوْبٰى**) أي: العيش الطيب أو الحسنى بمعنى الجنة كما قاله قتادة، أو الخير والكرامة كما قاله النخعي، أو الفرح وقرة العين كما قاله ابن عباس (**لِمَنْ تَعْظِيْمُهُ**) ﷺ (**جُلُّ قَصْدِهِ**) بضم الجيم، أي: أكثر مقصوده (**وَيَا فَوْزَهُ**) أي: نجاته وظفره بالخير. (**يَحْظٰى**) بالبناء للفاعل من باب «تعب يتعب»، أي: يرفع منزلته عند الله تعالى (**بِعَفْوٍ**) أي: بمحو ذنوبه (**وَغُفْرَانِ**) أي: ستر خطاياه. والجار والمجرور متعلق بـ«يحظي» أو بـ«فوزه» وهذا أقرب.

فقال المدابغي: فالاعتناء بوقت مولده الشريف من أعظم القربات، وذلك حصل بإطعام الطعام وقراءة القرآن وذكر القصائد النبوية إلى غير ذلك مما لايشتمل على شيء من المحرمات والمكروهات أو خلاف الأولى.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

وَقَدْ أَرْضَعَتْهُ الْأُمُّ سَبْعًا وَبَعْدَهَا ۞ ثُوَيْبَةُ أَيْضًا مِنْ جَرَاثِيمِ قَحْطَانِ

(**وَقَدْ أَرْضَعَتْهُ**) ﷺ (**الْأُمُّ**) أي: أمه آمنة (**سَبْعًا**) أي: سبعة أيام، وقيل: ثلاثة، وقيل: تسعة، وخير الأمور أوسطها (**وَبَعْدَهَا**) أي: آمنة (**ثُوَيْبَةُ**) جارية عمه أبي لهب، وقد أعتقها حين بشرته بولادته ﷺ. وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين وأمصّ من بين أصبعي هاتين ماء، وأشار برأس أصبعه، وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عند ما بشرتني بولادة النبي ﷺ

وبإرضاعها له (**أَيْضًا**) أي: كما أرضعته أمه. (**مِنْ جَرَاثِيْمِ**) أي: أصول (**قَحْطَانِ**) بن عامر بن شالخ كما في القاموس، وجميع العرب رجع إلى قحطان وإلى عدنان الذي هو الجد الأعلى للنبي ﷺ كما نقله ابن حجر عن المبرد، وقال الكلبي: وقحطان هو المجشعر بن نبت بن إسماعيل ﷺ.

وقال الشيخ الباجوري نقلا عن العلامة الزرقاني: والعرب ثلاثة أقسام: عاربة وهم الخلص من العرب، ومتعربة وهم بنو قحطان، ومستعربة وهم بنو إسماعيل الذين هو ﷺ منهم، انتهى.

وفي المصباح: العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان وهو اللسان القديم، والعرب المستعربة هم الذين تكلموا بلسان إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَثَالِثُهُنَّ السَّعْدُ وَافٰى لِسَعْدِهَا ۞ حَلِيْمَةُ مُذْ مِنْهَا لَهُ دَرَّ ثَدْيَانِ

(**وَثَالِثُهُنَّ**) أي: المرضعات (**السَّعْدُ**) أي: البركة في دين ودنيا (**وَافٰى**) أي: أتي (**لِسَعْدِهَا**) أي: الثالثة أو حليمة، وإن كانت متأخرة عن الضمير لكنها متقدمة حكما (**حَلِيْمَةُ**) بنت أبي ذؤيب من بني سعد بن بكر، ونسبت إليه مع أنه الجد التاسع، لأنه اشتهر به، وبه عرفت القبيلة، وزوجها منهم أيضا، ومن سعادتِها وعظم أجرها توفيقها إلى الإسلام هي وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيماء وأنيسة، بل رد رسول الله ﷺ سبي هوازن إليهم بواسطة كونهم قومها.

وعن ابن عباس قال: كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه خرج

مع أخته الشيماء في الظهيرة إلى البهم، فخرجت حليمة تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت: لم أتيت به في هذا الحر؟ فقالت أخته: يا أمه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع.

وقوله: «وثالهن» مبتدأ، وقوله: «حليمة» خبره، وقوله: «السعد» إلى آخره جملة معترضة.

(**مُذْ مِنْهَا**) أي: حليمة (**لَهُ**) ﷺ (**دَرَّ**) أي: سال (**ثَدْيَانِ**) أي: كثر لبنهما. فـ«مذ» هنا ظرف على المشهور لأنها يليها الجملة الفعلية وهي «در»، وقيل مضاف إلى تلك الجملة، والتقدير: في وقت در ثديها، وقيل: إلى زمن مضاف إلى الجملة، أي: مذ زمن ذلك، والمعنى: في زمن ذلك، فـ«مذ» حينئذ بمعنى «في» وهو متعلق بقوله: «وافى» أو بقوله: «السعد»، وقيل: إن «مذ» هنا مبتدأ فيجب تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر وحينئذ يكون بمعنى الزمن، والتقدير: الوقت، أي: وقت سعدها وقت در ثدييها، كذا ما يؤخذ من مغني اللبيب.

وَكَانَ قَدِيْمًا مِنْ عِجَافٍ تَرَاهُمَا ۞ كَشَنَّيْنِ مَا بَضَّا بِقَطْرَةِ أَلْبَانِ

(**وَكَانَ**) أي: الشأن (**قَدِيْمًا**) أي: في زمن سابق (**مِنْ عِجَافٍ**) أي: هزال (**تَرَاهُمَا**) أي: الثديين (**كَشَنَّيْنِ**) أي: كالجلدين العاليين (**مَا بَضَّا**) أي: ما سال الثديان (**بِقَطْرَةِ أَلْبَانِ**)، كما قالت حليمة: خرجت في نسوة من بني سعد عشر يطلبن الرضعاء في سنة ذات جدب وقحط، ولم يكن عندنا ما نأكله، وكنت في شدة من الجوع، وما ننام ليلتنا من بكاء صبياننا من الجوع، وما في بيت أحدنا ما يقيتهم، ولكن نرجو الغيث والفرج،

وكانت تمضى عليّ الأيام ولم أطعم فيها بطعام، وكنت ألتوي من الجوع كما تلتوي الحية، وكانت نساء بني سعد في ضيق من العيش، وكنت أرى بطونهن لاصقات بظهورهن، إذا بكت إحداهن لا تكاد الدمعة تخرج من عينها من شدة اليبوسة وضيق الزمان حتى كادت العرب أن تهلك بأسرها، كذا في الدر الثمين.

وقوله: «قديما» ظرف لقوله «تراهما كشنين»، وقوله: «من عجاف» متعلق بمحذوف حال من «شنين»، وقوله: «ما بضا» بيان لـ«شنين».

فَمَالَ إِلَى الثَّدْيِ الْيَمِيْنِ مُسَارِعًا ۞ وَعَفَّ عَنِ الثَّانِي لِإِرْضَاعِ إِخْوَانِ

(**فَمَالَ**) ﷺ (**إِلَى الثَّدْيِ الْيَمِيْنِ مُسَارِعًا**) أي: فأقبل عليه بما شاء من اللبن فشرب منه حتى روي، (**وَعَفَّ**) أي: امتنع (**عَنِ**) الثدي (**الثَّانِي**) أي: الآخر، وهو اليسار (**لِإِرْضَاعِ إِخْوَانِ**) من الرضاع، وكانت تلك الحالة حاله ﷺ دائما.

فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ مُنْصِفٍ أَيِّ مُنْصِفٍ ۞ وَلَا غَرْوَ مِنْهُ الْعَدْلُ لَيْسَ بِنُكْرَانِ

(**فَأَكْرِمْ بِهِ**) ﷺ، وهذا للتعجب، (**مِنْ مُنْصِفٍ**) أي: عدل (**أَيِّ مُنْصِفٍ**)، صفة، أي: عدل كامل (**وَلَا غَرْوَ**) أي: لا عجب (**مِنْهُ**) ﷺ (**الْعَدْلُ لَيْسَ بِنُكْرَانِ**)، قال أهل العلم : أعلمه الله تعالى أن له شريكا فألهمه العدل، وأرضعته ﷺ ثلاث نسوة أبكار من بني سليم أخرجن ثديهن فوضعنه في فمه ﷺ، فنزل اللبن ودرّ في فيه، وهؤلاء النسوة كنّ أبكارا، كل واحدة تسمى عاتكة، فلذلك قال ﷺ: «أنا ابن العواتك من سليم»، ولم ترضعه ﷺ امرأة إلا وأسلمت.

قال المدابغي: وجملة مرضعاته ﷺ عشرة، نظمها بعضهم من بحر الكامل:

إِنْ رُمْتَ تَحْفَظُ مُرْضِعَاتِ الْمُصْطَفَى ۞ خُذْهُنَّ بِالتَّرْتِيبِ فِي التِّبْيَانِ
أُمٌّ لَهُ وَكَذَا ثُوَيْبَةٌ يَا فَتَى ۞ وَحَلِيمَةٌ نَالَتْ رِضَا الرَّحْمٰنِ
وَكَذٰلِكَ امْرَأَةٌ لِحَمْزَةَ أَرْضَعَتْ ۞ وَثَلَاثُ أَبْكَارٍ روي فِي الشَّانِ
مَعْ أُمِّ فَرْوَةَ أُمّ أَيْمَنَ بَعْدَهَا ۞ مَعْ خَوْلَةٍ شَرَّفْنَ بِالْعَدْنَانِ

وَكَانَ عَلَيْهِ اللهُ صَلَّى مُسَلِّمًا ۞ يَشِبُّ شَبَابًا فَائِقًا كُلَّ غِلْمَانِ
فَشَبَّ بِيَوْمٍ مِثْلَ شَهْرٍ لِصِبْيَةٍ ۞ فَبَعْدَ ثَلَاثٍ قَدْ أَقَلَّتْهُ رِجْلَانِ
وَفِي خَمْسَةٍ أَضْحٰى يَسِيْرُ بِقُوَّةٍ ۞ وَفِي تِسْعَةٍ نَاجٰى بِأَفْصَحِ تِبْيَانِ

(**وَكَانَ**) أي: رسول الله، (**عَلَيْهِ اللهُ صَلَّى مُسَلِّمًا يَشِبُّ**) بكسر الشين، أي: يكبر ﷺ (**شَبَابًا فَائِقًا كُلَّ غِلْمَانِ**) أي: شبابا لا يشبه الغلمان (**فَشَبَّ بِيَوْمٍ مِثْلَ شَهْرٍ لِصِبْيَةٍ**)، بكسر الصاد وسكون الباء، جمع «صبي»، وهو جمع قلة ولكن المعنى على جمع كثرة. ويشب في الشهر شباب السنة، ولما صار ابن شهرين كان يتزحلف مع الصبيان إلى كل جانب (**فَبَعْدَ ثَلَاثٍ**) أي: فعند تمام ثلاث من الشهور (**قَدْ أَقَلَّتْهُ**) ﷺ، أي: رفعته (**رِجْلَانِ**) فيقوم مستقلا، وفي أربعة كان يمسك الجدار، (**وَفِي خَمْسَةٍ**) من الشهور (**أَضْحٰى**) أي: صار ﷺ (**يَسِيْرُ بِقُوَّةٍ**)، ولما تم له ستة أشهر كان يسرع المشي، وفي سبعة أشهر كان يسعى ويغدو إلى كل جانب، ولما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه، (**وَفِي تِسْعَةٍ**) من الشهور (**نَاجٰى**) أي: تكلم (**بِأَفْصَحِ تِبْيَانِ**)، هذا من إضافة

الصفة للموصوف، أي: بالكلام الفصيح. وفي رواية عن حليمة أن أول كلام تكلم به في بعض الليالي: لا إله إلا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم، وكان لا يمس شيئا إلا قال: بسم الله، ولما بلغ عشرة أشهر مرت غنمات حليمة يوما فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت إلى صويحباتها، ولما بلغ عمره ثمان سنين مات كافله جده عبد المطلب، وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله.

وَيَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَهْوَ بِحَيِّهَا	تَوَجَّهَ يَرْعٰى إِذْ أَتَاهُ رَسُلَانِ
مِنَ اللهِ شَقَّا صَدْرَهُ ثُمَّ عَلْقَةً	لَقَدْ أَخْرَجَا وَاسْتَنْزَعَا حَظَّ شَيْطَانِ
وَبِالثَّلْجِ أَيْضًا غَسَّلَاهُ وَحِكْمَةً	لَقَدْ مَلَآهُ مَعْ مَعَانِي إِيْمَانِ

(**وَيَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَهْوَ**) ﷺ، بسكون الهاء للوزن (**بِحَيِّهَا**) أي: مع قبيلة حليمة من الصبيان (**تَوَجَّهَ**) ﷺ (**يَرْعٰى**) غنما خارج بيوت حليمة، وقد بلغ من السن أربعة أعوام أو ثلاثة وهذا أقرب، (**إِذْ أَتَاهُ**) ﷺ (**رَسُلَانِ مِنَ اللهِ**) عَزَّوَجَلَّ (**شَقَّا صَدْرَهُ**) الشريف (**ثُمَّ عَلْقَةً**) أي: نكتة سوداء (**لَقَدْ أَخْرَجَا**) من قلبه ﷺ (**وَاسْتَنْزَعَا حَظَّ شَيْطَانِ**) أي: نصيبه ومحل وسوسته الذي يضع خرطومه به، وهي تلك العلقة. (**وَبِالثَّلْجِ**) الذي في طشت من الذهب (**أَيْضًا**) أي: كما استنزعا حظ الشيطان (**غَسَّلَاهُ**) بتشديد السين، أي: غسلا صدره وقلبه ثم غسلا ذلك ثانيا بماء الكوثر من الجنة الذي في إبريق من فضة (**وَحِكْمَةً**) بكسر الحاء، علما نافعا (**لَقَدْ ملآه**) أي: صدره (**مَعْ**) بسكون العين (**مَعَانِي إِيْمَانِ**) أي: تصديق قلبه.

قالت حليمة: فلما فصلته عن الرضاع بعد مضي حولين قدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما نرى من بركته فكلمنا أمه، وقلنا لها: نودّ لو تركتيه عندنا حتى يغلظ جسمه وتزيد قوته فإنا نخشى عليه وباء مكة، ولم نزل نتلطف بها حتى ردته معنا، فرجعنا به فَوَ اللهِ إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفي بَـهْمٍ[١] لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد ويسرع في المشي، فقال: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان، أي: ملكان في صورة رجلين، عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه، أي: متغيرا، فاعتنقه أبوه فقال: أي بُنَيَّ ما شأنك؟ فقال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: «كنت مسترضعا في بني سعد بن بكر، فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب[٢] لي من الصبيان، إذ أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا، فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هرابا[٣] مسرعين إلى الحيّ، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعا لطيفا، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا، ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها، ثم قام الثاني فقال لصاحبه: تنحّ، ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي، وأنا أنظر إليه، فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال، أي: أشار بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا، فإذا بخاتم في يده من

---

(١) قوله: (**بَهْم**)، والبهم: الصغار من الضأن، الذكر والأنثى في ذلك سواء، واحدتها: بهمة.

(٢) قوله: (**أتراب**)، وفي المعاني: جمع «تِرب» أي: مماثل في السن، ذكرا كان أو أنثى.

(٣) قوله: (**هرابا**) كذا في النسخة المطبوعة، وفي شرح الزرقاني: (هربا) بكسر الهاء وتخفيف الراء جمع «هارب»، ويجوز ضم الهاء مع شد الراء.

نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا، وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه، فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا، ثم قال الثالث لصاحبه: تنحّ، فأمرّ يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى». وقد وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء، ومرة أخرى عند الإسراء به، وروي الشق أيضا وهو ابن عشر سنين.

والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على أكمل الأحوال من العصمة. وقد روي «أنه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه، وكان ينمّ مسكا وأنه مثل زرّ الحجلة» ذكره البخاري.

فَـرَدَّتْهُ حَـقًّـا وَهْيَ غَيْرُ سَخِيَّةٍ ۞ إِلٰى أُمِّهِ خَـوْفًا بِهِ شَـرَّ حِدْثَانِ

(**فَرَدّتْهُ**) ﷺ (**حَقًّا وَهْيَ**) أي: حليمة، بسكون الهاء (**غَيْرُ سَخِيَّةٍ**) أي: غير رضية في ردها بل مكرهة عليه لما عاينته من بركاته ﷺ، وإنما ردته لخوف عليه ﷺ من النازلة من عدوه ونحوه (**إِلٰى أمهِ**) ﷺ (**خَوْفًا بِهِ**) ﷺ، فالباء بمعنى «على»، (**شَرَّ حِدْثَانِ**) بكسر الحاء، أي: نوائب الدهر.

قالت حليمة لبعلها: قد أمرتك بحمله ونقله إلى مكة فأبيت، والآن أخشى عليه من عدوّ يصيبه. قالت حليمة: فاحتملناه حتى قدمنا به مكة إلى أمه، فقالت: ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه؟ قلنا: نخشى عليه الإتلاف والأحداث، فقالت: ما ذاك بكما فأصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، أي: وهو خبر شق صدره،

قالت: أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل خليا سبيله وإنه لكائن لابني هذا شأن فدعاه عنكما.

وَقَدْ طَـرَّزَ السَّعْدُ الْعَرِيْضُ بُرُوْدَهَا ۞ وَمِنْ بَعْدِ فَقْرٍ أَصْبَحَتْ ذَاتَ وِجْدَانِ

(**وَقَدْ طَرَّزَ**) أي: زين (**السَّعْدُ**) أي: اليمن (**الْعَرِيْضُ**) أي: المتسع (**بُرُوْدَهَا**) أي: حليمة، جمع «برد» بضم الباء، وهي أكسية يلتحف بها، وأصل الطراز هو علم الثوب، وهو الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة أو ثوب نسج للسلطان (**وَمِنْ بَعْدِ فَقْرٍ أَصْبَحَتْ**) أي: حليمة، أي: صارت (**ذَاتَ وِجْدَانِ**) أي: غنى. قال بعضهم من بحر الطويل:

لَقَدْ بَلَغَتْ بِالْهَاشِمِيِّ حَلِيْمَةٌ ۞ مَقَامًا عُلًا فِي ذَرْوَةِ الْعِزِّ وَالْمَجْدِ
وَزَادَتْ مَوَاشِيْهَا وَأَخْصَبَ رُبْعُهَا ۞ وَقَدْ عَمَّ هٰذَا السَّعْدُ كُلَّ بَنِي سَعْدِ

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَـهُ وَضَـرِيْـحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

❊ ❊ ❊

فَأَمَّتْ بِهِ الْأُمُّ الْأَمِيْنَةُ يَثْرِبَا ۞ تَزُوْرُ لِعَبْدِ اللهِ مَشْهَدَ غُفْرَانِ

(**فَأَمَّتْ**) أي: فقصدت (**بِهِ**) ﷺ (**الأمّ**) أي: أمه ﷺ (**الأمِيْنَةُ**) أي: المأمونة من شر حاسد ومخوف (**يَثْرِبَا**) بألف الإطلاق للوزن، وهي اسم للأرض التي بالمدينة في

ناحية منها، سميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها في قديم الزمان (**تَزُوْرُ لِعَبْدِ اللهِ مَشْهَدَ غُفْرَانِ**)، والمشهد محل حضور الناس.

قال المدابغي: ولما أكمل ﷺ ست سنين توجهت به أمه مع حاضنته أم أيمن إلى المدينة لزيارة أخوال جده بني النجار، فأقاموا عندهم شهرا ورجعوا إلى مكة، فلما نزلوا بالأبواء وهو محل بين مكة والمدينة، وهو أقرب إلى المدينة ماتت أمه ﷺ، فدخلت به أم أيمن مكة لأنها حاضنته، فضمه جده عبد المطلب إليه، وكان يرق عليه ويعلي منزلته ويقول: إن لولدي هذا شأنا عظيما، انتهى.

فَزَارَتْ وَمَعْهَا أُمُّ أَيْمَنَ قَدْ أَتَتْ ۞ وَآبَتْ وَبِالْأَبْـوَاءِ دَانَتْ لِدَيَّانِ

(**فَزَارَتْ**) أي: أمه ﷺ (**وَمَعْهَا**) أي: الأم (**أُمُّ أَيْمَنَ**) بركة الحبشية التي ورثها رسول الله ﷺ من أبيه عبد الله (**قَدْ أَتَتْ**) أي: الأم المدينة (**وَآبتْ**) أي: رجعت الأم منها (**وَبِالأبوَاءِ دَانَتْ**) أي: قربت (**لِدَيَّانِ**) أي: لله الواحد القهار، أي: ماتت فيه ومرضت في الطريق. وقيل: دفنت بالمعلى. قال السمنودي: فلما ماتت أمه حضنته بركة الحبشية وجاءت به إلى جده بعد خمسة أيام من بعد موت أمه آمنة، فضمه إليه ورق إليه رقة لم يرق مثلها أحد على ولده.

وَقَبْلَ احْتِضَارٍ أَشْعَرَتْ بِمَقَالَةٍ ۞ تُبَشِّرُهُ فِيْهَا بِأَشْـرَفِ أَدْيَانِ

(**وَقَبْلَ احْتِضَارٍ**) أي: حضور موتها (**أَشْعَرَتْ**) أي: أعلمت آمنة (**بِمَقَالَةٍ تُبَشِّرُهُ**) ﷺ (**فِيْهَا**) أي: المقالة (**بِأَشْرَفِ أَدْيَانِ**) جمع «دين»، وهو ما يتعبد به.

تُبَشِّرُهُ بِالْوَحْيِ بَعْدَ رِسَالَةٍ ۞ وَتَنْهَاهُ فِيْهَا عَنْ عِبَادَةِ أَوْثَانِ

(**تُبَشِّرُهُ**) ﷺ (**بِالْوَحْيِ**) أي: بأنه حامله وأمينه، وهو ما يلقى إليه ﷺ من عند الله تعالى كما ألقى إلى الأنبياء قبله (**بَعْدَ رِسَالَةٍ**) من عند الله تعالى (**وَتَنْهَاهُ**) ﷺ (**فِيْهَا**) أي: المقالة (**عَنْ عِبَادَةِ أَوْثَانِ**)، جمع «وثن»: وهو الصنم سواء كان من خشب أو حجر أو غيره.

بِمَضْمُوْنِ شِعْرٍ مُشْعِرٍ بِنَجَاتِهَا ۞ هَنِيْئًا لَهَا فَازَتْ بِأَشْرَفِ وِلْدَانِ

(**بِمَضْمُوْنِ شِعْرٍ**) وهو القول المنظوم الموزون (**مُشْعِرٍ بِنَجَاتِهَا**) أي: آمنة. قوله: «بمضمون» بدل من قوله: «بمقالة» وهما متعلقان بـ«أشعرت» (**هَنِيْئًا لَهَا**) أي: ثبت لآمنة الفوز، أي: النجاة والظفر بالخير به ﷺ حال كونه هنيئا، أي: لا آفة فيه ولا نكد، فهو حال مؤكدة لعاملها الملتزم إضماره، لأنه لم يسمع إلا كذلك، وهو اسم فاعل من «هنئ» أو «هنؤ» كـ«شريف» من «شرف»، وهو ما أتى بلا مشقة (**فَازَتْ**) أي: اختصت (**بِأَشْرَفِ وِلْدَانِ**) بكسر الواو جمع «وليد» بمعنى: صبي مولود.

وروى أبو نعيم من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم النبي ﷺ في مرض موتها، ومحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ غلام يفع له خمس سنين، وهو جالس عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ﷺ ثم قالت:

بَارَكَ فِيْكَ اللهُ مِنْ غُلَامِ ۞ يَا ابْنَ الَّذِي مِنْ حَوْمَةِ الْحِمَامِ
نَجَا بِعَوْنِ الْمَلِكِ الْمِنْعَامِ ۞ فُوْدِيْ غَدَاةَ الضَّرْبِ بِالسِّهَامِ

بِمَائِةٍ مِنْ إِبْلٍ سَوَامِ ۞ إِنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِي الْمَنَامَ
فَأَنْتَ مَبْعُوْثٌ إِلَى الْأَنَامِ ۞ مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
تُبْعَثُ فِي الْحِلِّ وَفِي الْحَرَامِ ۞ تُبْعَثُ فِي التَّحْقِيْقِ وَالْإِسْلَامِ
دِيْنِ أَبِيْكَ الْبرِّ إِبْرَاهَامِ ۞ فَاللهُ يَنْهَاكَ عَنِ الْأَصْنَامِ
۞ أَنْ لَا تُوَالِيهَا مَعَ الْأَقْوَامِ ۞

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة، وذكري باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا، ثم ماتت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وَلَمَّا انْتَشٰى وَافٰى لِبُصْرٰى وَعَمَّهُ ۞ عَلٰى نُجُبِ الْإِعْزَازِ مِنْ خَيْرِ أَوْطَانِ

(**وَلَمَّا انْتَشٰى**) ﷺ، أي: كبر وبلغ ثنتي عشرة سنة عند الأكثرين، وقيل: بلغ تسع سنين (**وَافٰى**) أي: سافر (**لِبُصْرٰى**) بضم الموحدة وإسكان الصاد المهملة وبالقصر: بلدة بالشام من أعمال دمشق (**وَعَمَّهُ**)، بالرفع معطوف على الضمير المستتر في «وافى»، وبالنصب مفعول معه.

وذلك لما تهيأ عمه أبو طالب الرحيل إلى الشام أتاه النبي ﷺ وأمسك بزمام ناقته وقال: «يا عم إلى من تكلني لا أب لي ولا أم» فرقّ له أبو طالب وأخذه معه وأردفه خلفه. وإلى ذلك أشار الناظم بقوله: (**عَلٰى نُجُبِ الْإِعْزَازِ**) أي: على ناقة الإكرام (**مِنْ خَيْرِ أَوْطَانِ**) جمع «وطن» مثل «سبب» و«أسباب»، وهو مكة المشرفة.

فَخَافَ بِهِ مَكْرَ الْيَهُوْدِ وَكَيْدَهُمْ ۞ فَآبَ بِهِ فَوْرًا بِإِرْشَادِ رُهْبَانِ

(**فَخَافَ**) أي: عمه أبو طالب (**بِهِ**) ﷺ (**مَكْرَ الْيَهُوْدِ**) أي: خدعهم، وهو أن يوهم الغير خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يشعر (**وَكَيْدَهُمْ**) أي: حيلتهم (**فآب**) أي: أبو طالب (**بِهِ**) ﷺ صلى (**فَوْرًا**) أي: في ذلك الوقت من غير تأخير (**بِإِرْشَادِ رُهْبَانِ**) جمع «راهب»، وهو عابد النصارى.

أي: فلما وصل بصرى رآه بحيرا الراهب، واسمه جرجيس، فعرفه بصفته، فقال وهو آخذ بيده ﷺ: هذا سيد المرسلين ورسول الله هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقيل له: من أين علمت هذا؟ فقال: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر له ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبي، وإنا لنجده في كتبنا مكتوبا، وقال: إن بين كتفيه خاتم النبوة، وأمر عمه أبا طالب أن يرجع به من بصرى خوفا عليه من اليهود، فرجع به عمه إلى مكة ولم يجاوز بصرى. و«بحيرا» بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية، آخره راء مقصورة.

وأخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس: أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في تجارة، حتى نزل منزلا فيه سدرة، فقعد في ظلها، وذهب أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء، فقال له: من الرجل الذي في ظل الشجرة؟ فقال له: محمد بن عبد الله ابن عبد الطلب. قال: هذا والله نبي ما استظل تحت ظلها بعد عيسى إلا محمد ﷺ، ووقع في قلب أبي بكر الصديق، فلما بعث النبي ﷺ تبعه.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

وَسَافَـرَ مَـوْلَانَا الْـمُـشَـفَّـعُ ثَانِيًا ۞ لِبُصْرٰى بِلَادِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ حَوْرَانِ

(**وَسَافَرَ مَوْلَانَا**) أي: ولي أمرنا (**الْمُشَفَّعُ**) بفتح الفاء، المقبول شفاعته عند الله (**ثَانِيًا**) أي: سفرا ثانيا بعد سفر أبي طالب (**لِبُصْرٰى بِلَادِ الشَّامِ**) بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها (**مِنْ أَرْضِ حَوْرَانِ**)، وهي كورة بضم الكاف، أي: مدينة بدمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، وله ﷺ إذ ذاك خمس وعشرون سنة.

أَتٰى سُوْقَهَا يَبْتَاعُ فِيْهِ تِـجَارَةً ۞ وَمَيْسَرَةُ الْمَوْلٰى بِـجُمْلَةِ رُكْبَانِ

(**أَتٰى**) ﷺ (**سُوْقَهَا**) أي: بصرى، وقيل: سوق حباشة بتهامة (**يَبْتَاعُ**) أي: يشتري (**فِيْهِ**) أي: السوق (**تِجَارَةً**) أي: سلعة، وباع سلعته التي خرج بها (**وَمَيْسَرَةُ الْمَوْلٰى**) أي: العتيق (**بِجُمْلَةِ رُكْبَانِ**) جمع «راكب». وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس.

وَذَاكَ لِأُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّتِي سَمَتْ ۞ خَدِيْجَةَ ذَاتِ الطُّهْرِ غَادَةَ إِحْصَانِ

(**وَذَاكَ**) أي: المذكور من التجارة وميسرة (**لِأُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ**) في حرمة النكاح ووجوب الاحترام (**الَّتِي سَمَتْ**) أي: ارتفعت (**خَدِيْجَةَ**) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر، هذا عطف بيان على «أم المؤمنين» (**ذَاتِ الطهرِ غَادَةَ إِحْصَانِ**) أي: مليحة أحصن، أي: تزوّج الغادة بالغين المعجمة: المرأة الناعمة اللينة كما في القاموس، والحصان بفتح الحاء: المرأة العفيفة، ويقال: أحصن الرجل، أي: تزوّج كما في المصباح، وكانت

تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكانت تحت أبي هالة بن زرارة التميمي، فولدت له هندا وهالة وهما ذكران، ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت هندا، كذا في المواهب.

وَمُذْ حَلَّهَا وَافٰى إِلٰى فَيْئِ دَوْحَةٍ ۞ وَنَامَ بِقَلْبٍ مُبْصِرٍ غَيْرَ غُفْلَانِ

(**وَمُذْ حَلَّهَا وَافٰى إِلٰى فَيْئِ دَوْحَةٍ**) أي: شجرة عظيمة، أي: فلما وصل ﷺ إلى بصرى نزل تحت ظل شجرة قريبا من صومعة الراهب نسطورا، بالقصر، فقال: ما نزل تحت ظل هذه الشجرة قط إلا نبي (**وَنَامَ**) ﷺ (**بِقَلْبٍ مُبْصِرٍ غَيْرَ غُفْلَانِ**). قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا».

فَمَالَ لَهُ فِي الْحِيْنِ وَارِفُ ظِلِّهَا ۞ يَقِيْهِ هَجِيْرَ الْحَرِّ مِنْ بَيْنِ ظُعْنَانِ

(**فَمَالَ**) أي: زال عن الاستواء (**لَهُ**) ﷺ (**فِي الْحِيْنِ**) أي: في وقت وجوده ﷺ (**وَارِفُ ظِلِّهَا**) أي: الدوحة، هذا من إضافة الصفة للموصوف، أي: ظلها الوارف، أي: الطويل (**يَقِيْهِ**) ﷺ (**هَجِيْرَ الْحَرِّ**) أي: شدة الحر، وهذا إما من إضافة الظرف للمظروف، أي: من الحر في وقت الهجير، وهو نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر، أو هو عند زوالها إلى العصر لأن الناس يسكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا، أو من إضافة الصفة للموصوف، أي: من الحر الشديد (**مِنْ بَيْنِ ظُعْنَانِ**) أي: المسافرين، وهو جمع «ظاعن».

وَمُعْجِزَةُ الْهَادِي الشَّفِيْعِ مُحَمَّدٍ ۞ لِنُسْطُوْرَ مُذْ لَاحَتْ بِأَوْضَحِ بُرْهَانِ

(**وَمُعْجِزَةُ الْهَادِي**) إلى صراط مستقيم (**الشَّفِيْعِ**) أي: شفيع الخلق عند الله (**مُحَمَّدٍ**) ﷺ (**لِنُسْطُوْرَ**) بحذف الألف المقصورة للوزن (**مُذْ لَاحَتْ**) أي: ظهرت المعجزة (**بِأَوْضَحِ بُرْهَانِ**) أي: حجة، والنسطورية بضم النون وقد تفتح: أمة من النصارى تخالف بقيتهم، وهم أصحاب نسطورٍ الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتَصَرَّفَ في الإنجيل بحكم رأيه، وقال: إن الله واحد ذو أقانيمَ ثلاثةٍ هكذا في القاموس

تنبيه: فِرَقُ النصارى ثلاثة: نسطورية ويعقوبية وملكانية، ولكل فرقة اعتقاد، هكذا أفاده ابن حجر في شرح الهمزية.

تَـجَلّٰى لَهُ وَجْهُ الْـيَـقِيْنِ بِأَنَّهُ ۞	نَبِيٌّ رَسُوْلٌ كَامِلُ النَّعْتِ وَالشَّانِ

(**تَجَلّٰى**) أي: انكشف (**لَهُ**) أي: لنسطورا (**وَجْهُ الْيَقِيْنِ بِأَنَّهُ**) ﷺ (**نَبِيٌّ**) وهو الذي يأتيه الخبر من السماء فينبئ أهل الأرض به (**رَسُوْلٌ**) لرب العالمين (**كَامِلُ النَّعْتِ وَالشَّانِ**).

فَجَاءَ إِلٰى مَوْلٰى خَدِيْـجَةَ سَائِلًا ۞	بِعَيْنَيْهِ: هَلْ مِنْ حُـمْـرَةٍ لَوْنُهَا قَانِي

(**فَجَاءَ**) أي: نسطورا (**إِلٰى مَوْلٰى خَدِيْجَةَ**) وهو ميسرة (**سَائِلا**) لتحقيق ما ظنه (**بعينيه**) ﷺ: (**هَلْ مِنْ حُمْرَةٍ لَوْنُهَا**) أي: الحمرة (**قَانِي؟**) أي: شديدة، وهي تكون في بياض العين، وهو محمود محبوب.

فَقَالَ لَهُ فِيْهِ فَـحَـقَّـقَ ظَـنَّـهُ ۞	وَأَبْدٰى لَهُ الْأَسْرَارَ مِنْ غَيْرِ كِتْمَانِ

(فَقَالَ) أي: ميسرة (لَهُ) أي: لنسطورا (فِيْهِ) أي: تلك الحمرة موجودة فيه ﷺ لا تفارقه أبدا (فَحَقَّقَ) أي: فأيقن (ظَنَّهُ) إياه ﷺ (وَأَبْدٰى) أي: أظهر (لَهُ الْأَسْرَارَ) جمع «سر» (مِنْ غَيْرِ كِتْمَانِ).

وَقَالَ لَهُ: كُنْ مَعْهُ وَاحْسِنْ طَوِيَّةً ۞ فَهٰذَا هُوَ الْمَبْعُوْثُ آخِـرَ أَزْمَانِ

(وَقَالَ) أي: نسطورا (لَهُ) أي: لميسرة، هذا بدل من قوله: «وأبدى له»، كل من كل (كُنْ مَعْهُ) ﷺ، بسكون العين للوزن، أي: لا تفارقه (وَاحْسِنْ) بوصل الهمزة للوزن (طَوِيَّةً) أي: نية (فَهٰذَا) نبي وهو آخر الأنبياء، وهذا (هُوَ الْمَبْعُوْثُ) إلى جميع الخلق (آخِرَ أَزْمَانِ) فلا نبي بعده ﷺ.

وَعَـادَ قَـرِيْـرَ الْـعَيْنِ مِنْهَا لِمَكَّةٍ ۞ مُضَاعَفَ رِبْحٍ صِيْنَ عَنْ كُلِّ خُسْرَانِ

(وَعَادَ) ﷺ (قَرِيْرَ الْعَيْنِ) أي: فرح العين ومطمئنها (مِنْهَا) أي: بصرى (لِمَكَّةٍ) شرفها الله تعالى، واللام بمعنى «إلى» (مُضَاعَفَ رِبْحٍ صِيْنَ) ﷺ (عَنْ كُلِّ خُسْرَانِ)، ولذلك قال ميسرة: اتجرنا لخديجة أربعمائة مرة ما رأيت ربحا مثل هذا.

إِلٰهِيَ رَوِّحْ رُوْحَـهُ وَضَـرِيْـحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

وَلَـمَّـا بَدَا كَالشَّمْسِ كَانَتْ خَدِيْجَةٌ ۞	بِأَعْلَى مَـحَـلٍّ مُشْرِفٍ بَيْنَ نِسْوَانِ
رَأَتْهُ وَمَـعْـهُ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّـمَـا ۞	رَسُوْلَانِ مِنْ وَضْحِ الشُّمُوْسِ يُظِلَّانِ

(**وَلَمَّا**) رجع من بصرى ودخل مكة في ساعة الظهيرة و(**بَدَا**) ﷺ، أي: ظهر نوره (**كَالشَّمْسِ**) و(**كَانَتْ خَدِيْجَةٌ**) جالسة (**بِأعلى مَحل مُشْرِفٍ**) أي: عال، وهو عرفة (**بَيْنَ نِسْوَانِ، رَأَتْهُ**) ﷺ، أي: علمته وأبصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت به سائر أمهات المؤمنين من أزواجه ﷺ على بعيره (**وَمَعْهُ**) ﷺ (**مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَا**) أي: من جهة العلو (**رَسُوْلَانِ**) من الله تعالى (**مِنْ وَضْحِ الشُّمُوْسِ**) أي: حرها (**يُظِلَّانِ**) إياه، فأرته خديجة النساء اللاتي عندها ومن حولها فعجبن لذلك، ودخل ﷺ عليها وأخبرها بالربح فسرت به، وأخبرها ميسرة بما رأى وبما أخبر به الراهب نسطورا، فكان ذلك باعثا لخديجة على تزوجها به.

لِتَنْتَشِقَ التَّصْدِيْقَ مِنْ طِيْبِ قُرْبِهِ ۞	وَتُعْلِنَ بِالتَّوْحِيْدِ لِلْوَاحِدِ الدَّانِي

(**لِتَنْتَشِقَ**) أي: لتشمّ خديحة (**التَّصْدِيْقَ**) الذي هو الإيمان (**مِنْ طِيْبِ قُرْبِهِ**) ﷺ، فشبه الإيمان بما له ريح طيبة في النفاسة وكمال الرغبة في كل، (**وَتُعْلِنَ**) أي: تظهر خديجة (**بِالتَّوْحِيْدِ لِلْوَاحِدِ الدَّانِي**)، ومعنى الواحد هو: الذي لا يتجزأ ولا ينقسم، فهو تعالى واحد في ذاته وصفاته ولا يحل في محل. ومعنى الداني: القريب، فهو تعالى قريب إلينا بعلمه، وهو أقرب إلينا من نطقنا وذوقنا إلى لساننا ومن شمنا إلى أنفنا وهكذا.

لَقَدْ خَطَبَتْ تِلْكَ التَّقِيَّةُ نَفْسَهُ ۞ إِلٰى نَفْسِهَا قَرَّتْ لَهَا مِنْهُ عَيْنَانِ

(**لَقَدْ خَطَبَتْ**) أي: دعت (**تِلْكَ التَّقِيَّةُ**) أي: التاركة للمنهيات الفاعلة للمأمورات (**نَفْسَهُ**) ﷺ (**إِلٰى نَفْسِهَا**) أي: إلى أن يتزوج بها وعرضت نفسها عليه، فقالت: يا ابن عمي إني قد رغبت في نكاحك لما رأيته وعرفته منك. وكان سنها حينئذ أربعين سنة، وسنه ﷺ خمسا وعشرين سنة على الأشهر، وكانت تزوّجت قبله ﷺ برجلين (**قَرَّتْ**) أي: فرحت واطمأنت (**لَهَا**) أي: لخديجة (**مِنْهُ**) ﷺ (**عَيْنَانِ**) أي: أقر الله عينيها حتى لا تطمح عينها إلى من سواه.

فَقَصَّ عَلَى الْأَعْمَامِ فِي الْحِيْنِ أَمْرَهُ ۞ فَقَالُوْا: رَضِيْنَا حُرَّةً بِنْتَ فِتْيَانِ

(**فَقَصَّ**) أي: بيّن ﷺ (**عَلَى الْأَعْمَامِ فِي الْحِيْنِ**) أي: في ذلك الوقت (**أَمْرَهُ**) أي: شأنه بسبب ما دعته خديجة إلى النكاح (**فَقَالُوْا: رَضِيْنَا حُرَّةً**) أي: مختارة للناس (**بِنْتَ فِتْيَانِ**) أي: أقوياء، جمع «فتى»، وهو الشاب القي.

لِمَا قَدْ حَوَتْ مِنْ نِسْبَةٍ قُرَشِيَّةٍ ۞ وَمَالٍ وَدِيْنٍ مَعْ جَمَالٍ وَأَعْوَانِ

(**لِمَا قَدْ حَوَتْ**) أي: جمعت (**مِنْ نِسْبَةٍ قُرَشِيَّةٍ وَمَالٍ**) وافر (**وَدِيْنٍ مَعْ جَمَالٍ**) وهو رقة الحسن (**وَأَعْوَانِ**). أي: ولما عرضت خديجة نفسها عليه ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على أبيها خويلد، فخطبها إليه ﷺ فأجاب، فتزوّجها ﷺ، وأصدقها عشرين بكرة، وحضر أبو بكر ورؤساء مضر، وقد ذكر الدولابي وغيره أن النبي ﷺ أصدق خديجة اثنتي عشرة أوقية ذهبا ونشا، قالوا: وكانت كل أوقية إذ

ذاك أربعين درهما، والنش نصف أوقية، وكان تزوجه ﷺ بعد قدومه من الشام بثلاثة أشهر.

وَقَامَ خَطِيْبًا لِلْمُمَجَّدِ عَمُّهُ ۞ وَمِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللهِ أَثْنٰى بِإِعْلَانِ	
عَلَى الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ ۞ وَقَالَ: لَهُ شَأْنٌ سَيَبْدُوْ بِبُرْهَانِ	

(**وَقَامَ خَطِيْبًا لِلْمُمَجَّدِ**) ﷺ أي: المعظم بتعظيم الله تعالى له (**عَمُّهُ**) أبو طالب (**وَمِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللهِ أَثْنٰى بِإِعْلَان عَلَى الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ**) ﷺ (**وَقَالَ**) في خطبته: (**لَهُ**) ﷺ (**شَأْنٌ سَيَبْدُوْ بِبُرْهَانِ**) أي: بحجة، أي: فقال أبو طالب: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معدّ وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به وإن كان في المال قلا، فإن المال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من المصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، فزوجها أبوها منه.

والضئضئ: الأصل، وحضنة بيته، أي: الكافلين له والقائمين بخدمته، وسواس حرمه، أي: المتوالين لأمره.

وَأَوْلَدَهَا كُلَّ الْبَنِيْنَ سِوَى الَّذِيْ ۞ بِإِسْمِ خَلِيْلِ اللهِ سُمِّيْ بِإِيْقَانِ

(**وَأَوْلَدَهَا كُلَّ الْبَنِيْنَ**) أي: الأولاد (**سِوَى الَّذِيْ بِإِسْمِ خَلِيْلِ اللهِ سُمِّيْ بِإِيْقَانِ**) أي:

إن جميع أولاده ﷺ من خديجة إلا إبراهيم فهو من مارية. وجملة أولاده ﷺ سبعة: ثلاثة ذكور وأربع إناث، لكن واحد مختلف فيه، فالذكور: القاسم وإبراهيم وهذان متفق عليهما، وعبد الله وهذا مختلف فيه، ويقال له: الطيب والطاهر، والقول الأثبت وجوده، وسمي عبد الله بالطيب والطاهر، لأنه ولد بعد النبوة. والإناث: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وهن متفق عليهن: وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن معه.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَـهُ وَضَـرِيْـحَهُ	بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

وَحَبَّبَ مَوْلَانَا الْـخَلَاءَ لِـقَـلْبِهِ	فَأَمَّ حِرَاءً وَهْوَ مِنْ أَرْضِ نَعْمَانِ
تَعَبَّدَ فِيْهِ كَمْ لَـيَـالٍ لِـرَبِّهِ	فَـوَافَاهُ جِبْرَائِيْلُ فِيْهِ بِقُرْآنِ

(**وَحَبَّبَ مَوْلَانَا الْخَلَاءَ**) بفتح الحاء ممدودا، أي: المكان الذي ليس به أحد (**لِقَلْبِهِ**) ﷺ (**فَأَمَّ**) أي: فقصد (**حِرَاءً**)، بكسر الحاء وبالمد والتذكير والصرف، وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى (**وَهْوَ مِنْ أَرْضِ نَعْمَانِ**) بفتح النون، وفي المصباح: ونعمان الأراك، وبفتح النون: واد بين مكة والطائف، وفي القاموس: والوادي في مكة من تنعيم اسمه نعمان، وفيه أيضا: ونعمان واد وراء عرفة وهو نعمان الأراك، وإنما اختص ﷺ بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع، لأن هذا الغار له فضل زائد على غيره، وهو اجتماع ثلاث عبادات: الخلوة والتحنث، أي: التعبد في الليالي ذات العدد، والنظر إلى البيت، وهي عبارة (**تَعَبَّدَ**) أي:

عبد ﷺ (فِيْهِ) أي: حراء (كَمْ لَيَالٍ) أي: كثيرا من الليالي وهو شهر كما روي عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء شهرا» (لِرَبِّهِ) وعبادته ﷺ فيه إما بالفكر أو بأيّ شريعة شاء (فَوَافَاهُ) ﷺ أي: أتاه (جِبْرَائِيْلُ فِيْهِ) أي: في حراء في رمضان (بِقُرْآنٍ)، وقال له: اقرأ، أي: تهيأ للقراءة، فقال: ما أنا بقارئ. فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم قال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ. فغطه كذلك ثم أعاد عليه جبريل، فقال له: اقرأ. وأعاد محمد ﷺ، فقال: ما أنا بقارئ، فقال له جبريل بعد المرة الثالثة: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. ثم بعد ذلك فتر الوحي، أي: تأخر نزوله ثلاث سنين ليذهب عنه ما وجده من الروع وليزيد تشوقه إلى العود، ثم نزل عليه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إلى ﴿فَاهْجُرْ﴾ فهو أول ما نزل عليه بعد فتر الوحي، وأما ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فهي أول ما نزل مطلقا، وهذا يفيد أن نبوته ﷺ متقدمة على رسالته، وإنما اقتصر على الإنذار في قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ مع أنه ﷺ بعث مبشرا أيضا، لأن ذلك كان في أول الإسلام، فمتعلق الإنذار محقق، فلما أطاع الناس أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وَكَانَ ابْتِدَاءُ الْوَحْيِ وَافٰى بِرُؤْيَةٍ	لِـتَـمْرِيْنِ جُثْمَانٍ لِوَارِدِ فُرْقَانِ

(وَكَانَ ابْتِدَاءُ الْوَحْيِ وَافٰى بِرُؤْيَةٍ) أي: كان أول مابدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، أي: مثل ضياء الصبح في الوضوح، فابتداء نزول جبريل عليه في المنام كان في شهر ربيع الأول، وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر (لِتَمْرِيْنِ جُثْمَانٍ) بضم الجيم، أي: جسم، أي: لتدريبه وتصييره عادة

(لِوَارِدِ فُرْقَانِ) أي: قرآن، أي: وابتدئ ﷺ بالرؤيا، لأن الملك لو فجأه بغتة لم تحتمله قواه البشرية.

وَكَانَ يَقِيْنًا كُلَّمَا قَصَّ رُؤْيَةً ۞ سَرِيْعًا كَمَا قَدْ قَصَّ تَأْتِي بِتِبْيَانِ

(وَكَانَ) أي: الوحي الرؤيا في النوم (يَقِيْنًا) أي: لا شك فيه ولا يحتاج إلى تأويل (كُلَّمَا) أي: كل وقت (قَصَّ) أي: تتبع ﷺ (رُؤْيَةً) منامية (سَرِيْعًا)، هذا حال من فاعل «تأتي» المستتر (كَمَا قَدْ قَصَّ) أي: تتبع النبي الرؤيا أثرها (تَأْتِي) أي: الرؤيا له ﷺ (بِتِبْيَانِ) أي: بوضوح وانكشاف كما وقع في اليقظة، ولذلك عبر الناظم بالرؤية بالهاء المربوطة التي هي في اليقظة، ولم يعبر بالرؤيا بألف مقصورة التي تختص بما يقع في النوم.

فَأَرْسَلَهُ الرَّحْمٰنُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً ۞ رَسُوْلًا مُطَاعًا فِي الْوُجُوْدِ بِسُلْطَانِ

(فَأَرْسَلَهُ) ﷺ (الرَّحْمٰنُ لِلْخَلْقِ) أجمعين، واللام بمعنى «إلى» (رَحْمَةً) للعالمين (رَسُوْلًا) إلى كافة الثقلين أجمعين إرسال تكليف (مُطَاعًا فِي الْوُجُوْدِ بِسُلْطَانِ) أي: بحجة وبرهان، والإرسال كان في يوم الإثنين، قيل: لسبع عشرة من رمضان، وقيل: لثمان من ربيع الأول، وقيل: في أوله، وقيل: في رجب، وروى مسلم عن أبي قتادة: أنه ﷺ سئل عن يوم الإثنين فقال: «فيه ولدت وفيه أنزل عليّ القرآن».

إِلٰى دِيْنِهِ يَدْعُو الْأَنَامَ بِأَسْرِهِمْ ۞ فَأَدْنٰى بِهِ قَاصٍ وَأَقْصٰى بِهِ دَانِ

(إِلٰى دِيْنِهِ) أي: الرحمن (يَدْعُو) ﷺ (الْأَنَامَ) أي: الإنس والجن (بِأَسْرِهِمْ) أي:

بجميعهم (**فَأَدْنٰى**) أي: قرب الرحمن (**بِهِ**) ﷺ (**قَاصٍ**) أي: بعيدا (**وَأَقْصٰى**) أي: أبعد الرحمن (**بِهِ**) ﷺ (**دَانِ**) أي: قريبا. فـ«قاصٍ» و«دان» بحذف الياء على لغة مَن يحذفون الياء ولو منصوبا كما هنا.

وكان ﷺ يطوف على الناس في منازلهم يقول: «إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا»، وأبو لهب وراءه يقول: يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم. ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه قومه على ذلك، وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون، ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه.

وكان أول من آمن به ﷺ:

- من الرجال الأحرار: أبا بكر الصديق عبد الله بن عثمان ابن قحافة.
- ومن الصبيان: علي بن أبي طالب، وله عشر سنين أو ثمان سنين وهو الراجح، وصح إسلامه، لأن الأحكام كانت منوطة في صدر الإسلام بالتمييز.
- ومن النساء: خديجة، بل هي أول من أسلم مطلقا، لم يتقدمها رجل ولا امرأة.
- ومن الموالي: زيد بن حارثة.
- ومن العبيد: بلال المؤذن بن رباح.

قال ابن الصلاح هذا التفصيل هو الأورع.

لكن قال السراج البلقيني: أول من آمن به من الرجال: ورقة بن نوفل لنزول الوحي في حياته على النبي ﷺ وإيمانه بالنبي وتصديقه بعد رسالته، بناءً على أنهما متقارنان وهو الصحيح، أو قبلها لعلمه من الكتب القديمة، ومشى على ذلك جماعة،

وعدوه في الصحابة وهو المعتمد، ثم أسلم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله بدعاء أبي بكر لهؤلاء الخمسة للإسلام.

وأول ما وجب: الإنذار والدعاء إلى التوحيد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢]، فأقام ﷺ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو للّه مستخفيا، ثم نزل عليه الأمر بالإعلان وذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فأعلن ﷺ بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن لهم في الهجرة إلى أرض الحبشة.

وفرض الله عليه وعلى أمته من قيام الليل ما ذكره أول سورة المزمل بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيْلًا﴾ [المزمل: ١-٢]، ثم نسخه بما في آخرها من قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]. وفرض الله تعالى عليه ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء.

ومات عمه أبو طالب في السنة العاشرة من البعثة، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، فنالت قريش من أذى النبي ﷺ ما لم تنله في حياة عمه أبي طالب، هكذا ذكره المدابغي.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

وَأَسْرٰى بِهِ رَبِّيْ مِنَ الْحِجْرِ لَيْلَةً ۞ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصٰى لِرُؤْيَةِ حَنَّانِ

(**وَأَسْرٰى بِهِ**) ﷺ، أي: بجسده وروحه في اليقظة على ظهر البراق (**رَبِّيْ**) في السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بسنة واحدة على الأصح، ليلة سبع وعشرين من رجب على الراجح، وله ﷺ من العمر اثنان وخمسون سنة (**مِنَ الْحِجْرِ**) بكسر الحاء، أي: حجر إسماعيل (**لَيْلَةً إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصٰى لِرُؤْيَةِ حَنَّانِ**)، معناه: الرحيم، أو الذي يقبل على من أعرض عنه.

كَمَا الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ قَدْ سَرٰى ۞ وَجِبْرِيْلُ مَعْ مِيْكَالَ مَعَهُ يَسِيْرَانِ

(**كَمَا الْبَدْرُ**) أي: القمر ليلة تمامه، فـ«ما» زائدة، (**فِي دَاجٍ**) أي: في ظلمة، هذا متعلق بـ«سرى» (**مِنَ اللَّيْلِ**) بيان لـ«داج» (**قَدْ سَرٰى**) أي: البدر، أو النبي ﷺ وهذا أقرب، أي: فإنه ﷺ سرى في الليل كما أن البدر كذلك، ولذلك سمي ﷺ طه، إذ معناه الإشاري بدر، فإن الطاء بتسعة، والهاء بخمسة. (**وَجِبْرِيْلُ مَعْ**) بسكون العين (**مِيْكَالَ مَعهُ**) ﷺ (**يَسِيْرَانِ**) وليس يركبان معه ﷺ.

وَمُذْ حَلَّ فِي الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ جُمِّعَتْ ۞ لَهُ الرُّسْلُ وَالْأَمْلَاكُ مَعْ كُلِّ رُوْحَانِي

(**وَمُذْ حَلَّ**) أي: نزل (**فِي الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ جُمِّعَتْ**) بتشديد الميم (**لَهُ**) ﷺ (**الرُّسْلُ**) بسكون السين (**وَالْأَمْلَاكُ مَعْ كُلِّ رُوْحَانِي**) بضم الراء، هو نسبة إلى ما فيه الروح وإلى الجن والملك.

وَقَدَّمَهُ جِبْرِيْلُ صَلَّى بِـجَمْعِهِمْ ۞ إِمَامًا وَهُمْ لِلْحَقِّ أَكْثَرُ إِذْعَانِ

(**وَقَدَّمَهُ**) ﷺ (**جِبْرِيْلُ**) إلى المحراب (**صَلى**) ﷺ (**بِجَمْعِهِمْ إِمَامًا وَهُمْ لِلْحَقِّ**) عَزَّوَجَلَّ، ومعناه من ثبت وجوده ثبوتا لا يسمع جحوده (**أَكْثَرُ إِذْعَانِ**) أي: انقياد ولم يعصوه قط.

وَذَاكَ لِمَا يَدْرُوْنَ مِنْ فَضْلِهِ الَّذِيْ ۞ عَلَيْهِمْ عَلَا طُـرًّا بِمِنَّةِ مَـنَّـانِ

(**وَذَاكَ**) أي: اقتداؤهم به ﷺ (**لِمَا يَدْرُوْنَ**) أي: يعلمون (**مِنْ فَضْلِهِ**) ﷺ (**الَّذِيْ عَلَيْهِمْ**)، هذا متعلق بالفعل الذي بعده، (**عَلَا**) أي: فاق، هذا صلة الموصول (**طُرًّا**) بفتح الطاء، أي: قطعا، وبضمه، أي: جميعا (**بِمِنَّةِ مَنَّانِ**)، معناه المعطي ابتداء.

وفي حديث أبي سعيد: لما قضيت الصلاة قال الرسل: يا جبريل من هذا الذي معك؟ قال: هذا محمد رسول الله خاتم النبيين، قالوا: أَوَ قَدْ أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ وخليفة ونعم الأخ ونعم الخليفة، فقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها عليّ بردا وسلاما، ثم إن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني وأنزل عليّ التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون، ثم إن داود أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير وآتاني الحكمة وفصل الخطاب، ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي

ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والإنس والجن والطير وآتاني ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل لي ملكا طيبا ليس علي فيه حساب، ثم إن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق، أي: أصوّر من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل.
وقال سيدنا محمد ﷺ: «كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي فقال: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل عليّ القرآن فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما»، فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد.

هُنَالِكَ لِلْمِعْرَاجِ بَادَرَ مُسْرِعًا ۞ لِيَرْقَى إِلَى السَّبْعِ الطِّبَاقِ بِجُثْمَانِ

(**هُنَالِكَ**) أي: في المسجد الأقصى (**لِلْمِعْرَاجِ**) متعلق بـ«بادر» (**بَادَرَ**) ﷺ (**مُسْرِعًا**) حال مؤكد لعامله، والناصب للمعراج جبريل أتى به من الجنة، وهو سلم له عشر مَراق: واحدة من فضة وأخرى من ذهب، وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء والآخر من ياقوتة بيضاء، وهو مكلل باللؤلؤ وغيره من معادن الجنة، ونصبه جبريل فجعل أسفله على صخرة بيت المقدس وأعلاه إلى العرش، بين كل مرقاة والأخرى ما بين السماء والأرض، والمرقاة السفلى منه كان محلها عند السماء الدنيا، والثانية عند الثانية

وهكذا، فللسموات سبع مراق، والثامنة للسدرة، والتاسعة للكرسي، والعاشرة إلى العرش، فلما هم ﷺ بالصعود نزلت التي عند السماء الدنيا فركبها وصعدت به إلى السماء الدنيا، فلما وصلها نزلت التي عند السماء الثانية فركبها وصعدت به إلى السماء الثالثة ثم نزلت التي عند الثالثة وهكذا، والمرقاة هي الدرجة، كذا ذكره الشيخ الجمل في الفتوحات الإلهية.

(**لِيَرْقَى**) أي: ليصعد ﷺ (**إِلَى السَّبْعِ**) أي: سبع سموات (**الطِّبَاقِ**) صفة، أي: بعضها فوق بعض، الأولى: من موج مكفوف، والثانية: من مرمرة بيضاء، والثالثة: من حديد، والرابعة: من صفر، أي نحاس أصفر، والخامسة: من فضة، والسادسة: من ذهب، والسابعة: من ياقوتة حمراء. هكذا في الفتوحات الإلهية (**بِجُثْمَانِ**) بضم الجيم، أي: بجسده ﷺ.

وَجَاوَزَهُنَّ الْكُلَّ وَالرُّوحَ خَادِمٌ	**لِحَضْرَتِهِ الْعُلْيَا بِمَشْهَدِ عِرْفَانِ**
إِلَى أَنْ دَنَا مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ إِذْ دَنَا	**وَشَاهَدَ ذَاتَ اللهِ رُؤْيَةَ أَعْيَانِ**

(**وَجَاوَزَهُنَّ الْكُلَّ**) ثم إلى سدرة المنتهى ثم إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام في تصاريف الأقدار ثم إلى العرش ثم إلى غير ذلك مما لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبي مرسل. ورأى آدم في السماء الأولى، ويحيى وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، وفرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس (**وَالرُّوحَ**) أي: روح القدس وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (**خَادِمٌ لِحَضْرَتِهِ**) ﷺ (**الْعُلْيَا**) بضم العين وبالقصر كما في المصباح (**بِمَشْهَدِ عِرْفَانِ، إِلَى أَنْ دَنَا**) ﷺ (**مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ**)، وقاب القوس: ما بين

مقبضه وآخره، فلكل قوس قابان، والمراد تشبيه قربه ﷺ المعنوي من ربه بقرب قاب القوس إذا ألصق بقاب قوس آخر، ثم رأيت بعضهم قال: قاب قوسين، أي: مقدار قوسين، وقاب قوس، أي: مقدار قوس، أي: قدر طولها، هكذا قاله ابن حجر في شرح الهمزية (**إِذْ دَنَا**) أي: قرب ﷺ من ربه (**وَشَاهَدَ**) ﷺ (**ذَاتَ اللهِ رُؤْيَةَ أَعْيَانِ**) بما يليق بجنابه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأوحى الله إليه ما أوحى وسمع كلامه، والموحى به إما الصلوات الخمس أو غيرها مما وقع في تلك الحضرة.

قال سعيد بن جبير: أوحي إليه ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] إلى قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. وقيل أوحي إليه: إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك، ثم عاد ﷺ من ليلته إلى مكة، ومكنه لم يبرد، وأخبر قريشا بذلك الإسراء.

وَصَدَّقَهُ الصِّدِّيْقُ فِي صُبْحِ يَوْمِهِ ۞ وَكَابَرَ مَنْ أُغْوِيْ بِفِتْنَةِ شَيْطَانِ

(**وَصَدَّقَهُ**) أي: في الإسراء (**الصِّدِّيْقُ**) أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والمؤمنون (**فِي صُبْحِ يَوْمِهِ**) أي: ليلة الإسراء (**وَكَابَرَ**) أي: عاند (**مَنْ أُغْوِيْ بِفِتْنَةِ شَيْطَانِ**) أي: وكذبه من قريش المشركون، وارتد جماعة ممن كان أسلم، وسأله المشركون عن صفات بيت المقدس فجلاه الله له وأ٥مخبرهم بما سألوه عنه، وسألوه أمارة فأخبرهم بالعير وأنهم يقدمون يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب، فدعا الله تعالى فحبس الشمس، وكان كما وصف ﷺ ثم أذن ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى المدينة بعد قدوم من أسلم على يديه من الأنصار، وذلك أنه ﷺ أتى في منى لما كان يعرض نفسه في الموسم على قبائل العرب ستة من الأنصار وكلهم من

الخزرج فآمنوا به عند عقبة منى، وقال لهم: تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي، فواعدوه الموسم القابل، فجاء منهم اثنا عشر فأسلموا وبايعوه على الإيواء والنصرة، ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام، ثم قدم عليه منهم في العقبة الثالثة العام المقبل سبعون فأسلموا وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم وعلى حرب العرب والعجم، ونقب عليهم اثني عشر نقيبا، ولما أمر ﷺ أصحابه بالهجرة إلى طيبة أقام ﷺ بمكة ينتظر إذن الله تعالى له في الهجرة فأذن له فيها عقب بيعة العقبة الثالثة هلال ربيع الأول، وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر فخرجا من مكة يوم الخميس وبقيا في غار ثور بأسفل مكة، وأمر الله العنكبوت أن تنسج على بابه وأمر حمامتين وحشيشين فعششتا هناك، ثم خرجا من الغار في أثناء ليلة الإثنين، والنبي ﷺ على ناقته الجدعاء - بالدال المهملة - وهي المقطوعة الأنف أو مقطوعة الأذن كلها، فتعرض لهما بقديد سراقة بن مالك، فدعا النبي ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت»، فغاصت قوائم فرسه في الأرض حتى بلعته إلى الركبتين، فطلب الأمان فأطلق ووقع منه ثلاث مرات، وقيل: سبع مرات، وأسلم سراقة بعد ذلك، وقدم النبي ﷺ المدينة ومعه أبو بكر يوم الإثنين نصف النهار الثاني عشر من ربيع الأول، وله ﷺ من العمر ثلاث وخمسون سنة، فأقام بقباء موضع بالمدينة في بني عمرو بن عوف على فرسخ من المسجد النبوي أربعة أيام: يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم خرج من قباء ضحى يوم الجمعة، فأدركته صلاة الجمة في الطريق فصلاها في بني سالم ابن عوف في المسجد الذي في بطن الوادي بمن كان معه من المسلمين وهم مائة، فكانت هذه الجمعة أول جمعة صلاها بالمدينة، ثم توجه بعد صلاة الجمعة على راحلته وأرخى زمام ناقته فتلقاه جماعة من أهل دور الأنصار يكلمونه في النزول عليهم

ويأخذون بخِطام ناقته، ويقولون: يارسول الله هلم إلينا، فيقول لهم: خلوا سبيلها، أي: ناقته، فإنها مأمورة، أي: من قبل الله تعالى بأن تبرك بمحل سخرها الله لأن تبرك فيه فخلوا سبيلها، فسارت تنظر يمينا وشمالا إلى أن بركت بمحل باب المسجد، وهو ﷺ راكب عليها لم ينزل، ثم وثبت به ثم سارت ومشت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا ينفيها، أي: لا يحركها به إلى أن بركت بباب أبي أيوب خالد بن زيد ابن كليب الأنصاري من بني مالك بن النجار من كبار الصحابة شهد بدر أو المشاهد كلها، ثم قامت ومشت والتفتت خلفها ثم رجعت إلى مبركها أول مرة بمحل باب المسجد وبركت فيه ثم تجلجلت - بجِيْمَيْنِ -، أي: تحركت وألقت عنقها بالأرض وصوّتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها رسول الله ﷺ وقال: «هذا المنزل إن شاء الله، اللهم أنزلنا منزلا مباركا، وأنت خير المنزلين، أربع مرات»، واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رحله بإذنه ﷺ، وأدخله بيته ونزل عليه ﷺ لكونه من أخوال عبد المطلب وأراده قوم في النزول عليهم، وقال: المرء مع رحله، فأقام ﷺ عند أبي أيوب سبعة أشهر حتى بنى مسجده ومساكنه واشترى محل مسجده وهو يومئذ مِربد، أي: محل يجفف فيه التمر بعشرة دنانير، أداها عنه أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من ماله، ثم بناه باللبن وسقفه بالجريد وجعل عمده من خشب النخل ، وكان ﷺ ينقل اللبن معهم في ثيابه، وفي رواية: في ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول:

هٰذَا الْحِمَالُ لَاحِمَالَ خَيْبَر ۞ هٰذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَر

أي: هذا المحمول من الطين أبرّ وأطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب.

وجعل قبلته لبيت المقدس إلى أن حوّلت في السنة الثانية وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وعرضه نحو ذلك، أي: أقل من مائة فهومربع، وقيل: إنه غير مربع، وبنى مساكنه، أي: حجرتين لعائشة وسودة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا إلى جنبه باللبن، ثم تحول إليهما من دار أبي أيوب، وكانت أول كلمة سمعت منه لما قدم المدينة الأمينة «أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» هكذا في مولد المدابغي.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ أَكْمَلَ خَلْقِهِ ۞ بِخَلْقٍ وَخُلْقٍ سَيِّدَ الْإِنْسِ وَالْجَانِ

(وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ) ﷺ (أَكْمَلَ خَلْقِهِ) تعالى (بِخَلْقٍ) بفتح الخاء، أي: خلقة وشكلا (وَخُلْقٍ) بضم الخاء وسكون اللام للوزن، أي: طبيعة، فهو ﷺ أكمل الناس خلقا وأحسنهم خلقا وهو قمر الحسن وبدر التمام. وحكى القرطبي عن بعضهم أنه قال: لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته ﷺ. (سَيِّدَ الْإِنْسِ وَالْجَانِ) أي: وغيرهما.

لَهُ قَامَةٌ مَرْبُوْعَةٌ أَبْيَضَ السَّنَا ۞ أَغَرَّ كَحِيْلَ الطَّرْفِ مُحْمَرَّ أَوْجَانِ

(لَهُ) ﷺ **(قَامَةٌ مَرْبُوْعَةٌ)** لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد(١)، بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله [رسولُ اللّه] ﷺ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى الربعة ويقول ﷺ «جعل الخير كله في الربعة» أفاده الغزالي، **(أَبْيَضَ السَّنَا)** بالقصر، أي: واضح الضوء **(أَغَرَّ)** أي: أبيض، أي: كان ﷺ أزهر اللون، أي: أبيض بياضا نيرا مشربا بالحمرة **(كَحِيْلَ الطَّرْفِ)** أي: أسود أجفانه خلقة، ومع ذلك كان يكتحل ﷺ كما روي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كان النبي ﷺ يكتحل قبل أن ينام بالإثمد ثلاثا في كل عين»، وعن جابر قال: قال رسول ﷺ: «عليكم بالإثمد عند النوم فإنه يجلو البصر وينبت الشعر» **(مُحْمَرَّ أَوْجَانِ)** والوجنة: ما ارتفع من لحم الخدّ، أي: كان نور وجنته ﷺ أحمر كالبدر، وفي حديث ابن أبي هالة: «يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر»، وذلك لأن القمر يملأ الأرض بنوره ويؤنس كل من شاهده، وهو يجمع النور من غير أذى ويتمكن من النظر إليه، بخلاف الشمس التي تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية، والتشبيه بالبدر أبلغ في العرف من التشبيه بالقمر لأنه، وقت كماله كذا في المواهب.

وكان ﷺ أحسن الناس وجها وأنورهم، لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر، وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته، وكانوا يقولون: هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق حيث يقول رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

أَمِيْنٌ مُصْطَفًى لِلْخَيْرِ يَدْعُوْ ۞ كَضَوْءِ الْبَدْرِ زَايَلَهُ الظَّلَامُ

---

(١) قوله: **(ولا بالقصير المتردد)** أي: المتناهي في القِصَر. كأنه تردد بعض خلقه على بعض وتداخلت أجزاؤه.

وَوَاسِعَ عَيْنٍ بَلْ وَأَهْدَبَ شَفْرِهَا ۞ وَوَاسِعَ فَمٍّ بَلْ وَأَفْلَجَ أَسْنَانِ

(**وَوَاسِعَ عَيْنٍ**) أي: كانت عيناه نجلاوين حسنهما أدعجهما، وكان في عينيه تمزّج من حمرة، أي: في بياضهما، والأدعج: شديد سواد الحدقة (**بَلْ وَأَهْدَبَ شَفْرِهَا**) أي: طويل هدب شفر العين حتى يكاد يلتبس من كثرته، والشفر هو: حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر. (**وَوَاسِعَ فَمٍّ**)، وعن جابر ابن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ صليع الفم. وزاد ابن أبي هالة: يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه. (**بَلْ وَأَفْلَجَ أَسْنَانِ**) أي: متفرقها، «وكان إذا افترّ ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ». وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين، إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه. رواه الترمذي. وظاهر هذا الحديث اختصاص التفلج بالثنايا فقط، وقد صرح جمع بأن تباعد ما بين الأسنان كلها عيب.

بِـجَبْهَـتِـهِ بَدْرُ الْكَـمَـالِ مُـتَـمِّـمُ ۞ وَشَمْسُ الضُّحٰى وَالْفَجْرُ لَاحَا يُضِيْئَانِ

(**بِجَبْهَتِهِ**) ﷺ (**بَدْرُ الْكَمَالِ مُتَمِّم**) أي: نور جبهته ﷺ كامل تام كتمام البدر ليلة أربعة عشر (**وَشَمْسُ الضُّحى وَالْفَجْرُ لَاحَا يُضِيْئَانِ**)، وعن أبي هريرة قال: «ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه» رواه الترمذي وأحمد وابن حبان. قال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ﷺ، قال: ويحتمل أن يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس.

بِأَحْسَنِ عِرْنِيْنٍ وَأَقْنَاهُ قَدْ سَمَا ۞ حَوٰى مَنْكِبَاهُ الْوُسْعَ خَدَّاهُ سَهْلَانِ

(**بِأَحْسَنِ عِرْنِيْنٍ**) وكان ﷺ دقيق العرنين، أي: الأنف، أي: أعلاه (**وَأَقْنَاهُ**) أي: طويل العرنين (**قَدْ سَمَا**) أي: ارتفع، وله نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، وهو في الحقيقة غير أشم، والشمم هو: ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاه (**حَوى مَنْكِبَاهُ**) ﷺ (**الْوُسْعَ**) أي: أن أعلى ظهره ﷺ عريض، ويلزم من ذلك عرض الصدر كما جاء في رواية رحب الصدر، وذلك آية النجابة فهو مما يمدح به في الرجال (**خَدَّاهُ**) ﷺ (**سَهْلَانِ**) أي: سائلان، أي: غير مرتفع الوجنتين، وذلك أعلى وأحلى عند العرب.

لَهُ زُجَجٌ فِي الْحَاجِبَيْنِ وَأَنْفُهُ	بِهِ بَعْضُ الِاحْدِيْدَابِ عَدْلٌ كَمُرَّانِ

(**لَهُ**) ﷺ (**زُجَجٌ**) أي: تقوّس مع طول (**فِي الْحَاجِبَيْنِ**) وهما سابغان، أي: وافر شعرهما، وكان ﷺ أبلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة كذا في الإحياء. (**وَأَنْفُهُ**) ﷺ (**بِهِ**) أي: الأنف، أي: في وسطه (**بَعْضُ الِاحْدِيْدَابِ**) أي: الارتفاع، وهو وصف مدح (**عَدْلٌ**) أي: مستوى الأنف (**كَمُرَّان**) بضم الميم، أي: كرماح.

وَضَخْمُ كَرَادِيْسٍ كَذَا كَثُّ لِحْيَةٍ	وَكَفَّاهُ بِالْإِحْسَانِ وَالْجُوْدِ بَسْطَانِ

(**وَضَخْمُ كَرَادِيْس**) أي: عظيم رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين، وذلك يستلزم كمال القوى الباطنية (**كَذَا كَثُّ لِحْيَةٍ**) أي: كثير الشعر النابت على الذقن كذا في رواية، وفي أخرى كثيف اللحية، وفي أخرى عظيم اللحية، وعلى كل فالمعنى: أن لحيته ﷺ كانت عظيمة، أفاده الباجوري، (**وَكَفَّاهُ**) ﷺ (**بِالْإِحْسَانِ**) أي:

إتيان الحسنة (**وَالْجُوْدِ بَسْطَانِ**) بتقديم الباء، أي: ممدودان، أو عكسه، أي: سخيتان. وكان ﷺ رحب الراحة، أي: واسع الكف، وهو دليل الجود، وصغره دليل البخل، أفاده الباجوري. وكان ﷺ أجود الناس وأسخاهم، وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا.

وَكَانَ عَظِيْمَ الرَّأْسِ صَلْتًا جَبِيْنُهُ ۞	وَذَا شَعْرٍ حَاذَى لِشَحْمَةِ آذَانِ

(**وَكَانَ**) ﷺ (**عَظِيْمَ الرَّأْسِ**) كما في الحديث: «إنه عظيم الهامة»، وعظم الرأس ممدوح لأنه أعون على الإدراكات والكمالات (**صَلْتًا**) أي: واضحا، و(**جَبِيْنُهُ**) وهو ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ، وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال: «رأيت رسول الله ﷺ فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين» (**وَذَا شَعْرٍ حَاذَى لِشَحْمَةِ آذَانِ**) وقيل: كان شعره يضرب منكبيه، وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه، وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل أذن من بين غديرتين، وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ، كذا في الإحياء. قال الحافظ العراقي: وكان ﷺ لا يحلق رأسه إلا لأجل النسك وربما قصر.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞	بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

❊ ❊ ❊

وَخَاتَمُهُ يُنْبِيْ بِخَتْمِ نُبُوَّةٍ ۞ وَمَا بَيْنَ كِتْفَيْهِ اسْتَقَرَّ بِإِيْقَانِ

(**وَخَاتَمُهُ**) ﷺ بفتح التاء، (**يُنْبِيْ**) أي: يخبر (**بِخَتْمِ نُبُوَّةٍ، وَمَا بَيْنَ كِتْفَيْهِ اسْتَقَرَّ بِإِيْقَانِ**) وفي الإحياء: وهو مما يلي منكبه الأيمن، فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفراء، حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس. وفي الروض: أنه كأثر المِحجمة القابضة على اللحم. وفي تاريخ ابن أبي خيثمة: أنه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة، حولها شعرات متراكمات كأنها عرف فرس. وفي الشمائل: أنه بضعة ناشزة، أي: قطعة لحم مرتفعة على الجسد. وفي مسلم: أنه كبيضة الحمام. وفيه أيضا: أنه جُمْعٌ، عليه خِيلان كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه.

قوله: «جُمْع» بضم الميم وإسكان الميم، أي: كجمع الكف، وهو صورته بعد جمع الأصابع. وقوله: «خيلان» بكسر الخاء المعجمة وإسكان التحتية، جمع «خال»، وهو الشامة على الجسد. وقوله: «الثآليل» جمع «ثؤلول»، وهو خراج صغير يظهر على الجسد له نتوء واستدارة. وقوله: «نغض» بالنون والغين والضاد المعجمة، وهو أعلى الكف. وقال السهيلي: والصحيح أن خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الأيسر.

لَهُ عَرَقٌ كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ عَرْفُهُ ۞ يَفُوقُ فَتِيْتَ الْمِسْكِ فِيْ كُلِّ أَحْيَانِ

(**لَهُ**) ﷺ (**عَرَقٌ**) في وجهه، بفتح الراء، (**كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ**) أي: الناعم في الصفاء والبياض (**عَرْفُهُ**) بسكون الراء، أي: رائحة عرقه (**يَفُوْقُ فَتِيْتَ الْمِسْكِ**) الأذفر (**فِي كُلِّ أَحْيَانِ**).[1]

---

(١) روى مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخل علينا رسول اللّه ﷺ فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة =

وَمِشْيَتُهُ الْحَسْنَاءُ كَانَتْ تَكَفُّؤًا ۞ كَذَا صَبَبٌ يَنْحَطُّ مِنْهُ لِقِيْعَانِ

(**وَمِشْيَتُهُ**) بكسر الميم، أي: هيئة مشيه ﷺ (**الْحَسْنَاءُ**) بفتح الحاء وبالمد (**كَانَتْ تَكَفُّؤًا**) أي: ميلا إلى سنن المشي (**كَذَا صَبَبٌ**) أي: حدور، بفتح الحاء المهملة، وهو المكان المنحدر (**يَنْحَطُّ**) أي: ينزل ﷺ (**مِنْهُ**) أي: الصبب (**لِقِيْعَانِ**) جمع «قاع»، أي: مستوى من الأرض، وقال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول اللّه ﷺ إذا مشى تقلع» أي: ارتفع من الأرض بجملته كحال المنحط في الصبب، وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة، وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء، فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة، فهي مذمومة، ويمشي بانزعاج مشي الجمل الأهوج، وهذه علامة لخفة عقل صاحبها، ولاسيما أن أكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا، وفي الإحياء: «كان ﷺ يمشي كأنما ينقلع من صخر ويتحدر من صبب يخطو تكفؤا ويمشي الهوينا بغير تبختر». و«الهوينا» تقارب الخطا، و«التقلع» أن يمشي بقوة بأن يرفع رجليه من الأرض بقوة لا كمن يختال، فإن ذلك شأن النساء.

وَكَانَ حَبِيْبُ اللهِ خِيْرَةَ خَلْقِهِ ۞ يُصَافِحُ مَنْ يَلْقَاهُ مِنْ كُلِّ أَخْدَانِ
مُصَافَحَةً فِيْ سَائِرِ الْيَوْمِ لَمْ تَزَلْ ۞ مُعَبَّقَةً مِنْهُ بِرَيَّاهُ كَفَّانِ

(**وَكَانَ حَبِيْبُ اللهِ خِيْرَةَ خَلْقِهِ**) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (**يُصَافِحُ مَنْ يَلْقَاهُ**) ﷺ (**مِنْ كُلِّ أَخْدَانِ**) أي: أصدقاء. (**مُصَافَحَةً فِي سَائِرِ الْيَوْمِ**) أي: باقيه، الجار والمجرور متعلق بما

= فجعلت ستكب العرق فيها فاستيقظ فقال: يا أم سليم، ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب. وفي رواية: قالت: نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبتِ.

بعده (**لَمْ تَزَلْ**) أي: المصافحة (**مُعَبَّقَةَ**) أي: ظاهرة الرائحة الطيبة (**مِنْهُ**) ﷺ (**بِرَيَّاهُ**) أي: برائحته الطيبة (**كَفَّانِ**) نائب الفاعل لـ«معبقة».

صَبِيٌّ إِذَا مَا مُسَّ يَعْرِفُ مَسَّهُ ۞ وَيُدْرٰى بِعَرْفِ الطِّيْبِ مِنْ بَيْنِ صِبْيَانِ

(**صَبِيٌّ إِذَا مَا**) «ما» هذه زائدة (**مُسَّ**) أي: الصبي، أي: رأسه، بالبناء للمجهول، أي: إذا مس النبي الصبي، أي: رأسه (**يَعْرِفُ مَسَّهُ**) ﷺ (**وَيُدْرَى بِعَرْفِ الطِّيْبِ**) أي: بريحه على رأسه (**مِنْ بَيْنِ صِبْيَانِ**) بضم الصاد وكسرها، جمع «صبي».

تنبيه: قوله «صبي» يجب رفعه على الابتداء، لأن ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبلها لأن لها صدر الكلام، فكل ما له صدر الكلام لا يعمل ما بعده فيما قبله، وما لا يعمل لا يفسر عاملا، لأن المفسر في باب الاشتغال بد من اللفظ بالمفسر، قال ابن مالك في الألفية:

كَذَا إِذَا الْفِعْلُ تَلَا مَا لَمْ يَرِدْ ۞ مَا قَبْلُ مَعْمُوْلًا لِمَا بَعْدُ وُجِدْ

أي: كذلك التزم رفع الاسم السابق إذا أتبع الفعل شيئا لا يرد ما قبله معمولا لما بعده كأدوات الشرط والاستفهام والتحضيض ولام الابتداء و«ما» النافية و«كم» الخبرية والحروف الناسخة والموصول والموصوف، تقول: «زيد إن زرته يكرمك وهل رأيته وهلا كلّمته، وزيد لا أنا ضاربه، وزيد ما ضربته، وزيد كم ضربته، وزيد إني ضربته، وزيد الذي ضربته، وزيد رجل ضربته» بالرفع في ذلك، ولا يجوز النصب، لأن هذه الأشياء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا يفسر عاملا لأن ما بعدها من العامل المذكور بدل من اللفظ بالعامل المحذوف، وشأن البدل موافقة المبدل منه، فلابد من جواز عمل المذكور فيما قبله كالمحذوف.

كَمَا الْبَدْرُ فِيْ تَمٍّ تَلَأْلَأَ وَجْهُهُ ۞ وَمَا الْبَدْرُ إِلَّا مِنْهُ يَزْهُوْ بِلَمْعَانِ

(كَمَا الْبَدْرُ) فـ«ما» زائدة (فِي تَمٍّ) أي: كماله (تَلَألأ) أي: لمع وأضاء كاللؤلؤ (وَجْهُهُ) ﷺ. وقال هند بن أبي هالة: كان رسول الله ﷺ فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر. قوله: «فخما» أي: عظيما في نفسه، وقوله: «مفخما» أي: معظما في صدور الصدور وعين العيون لا يستطيع مكابر أن لا يعظمه وإن حرص على ترك تعظيمه، أفاده الباجوري (وَمَا الْبَدْرُ إلا مِنْهُ) ﷺ (يَزْهُوْ) أي: يظهر صفرته (بِلَمْعَانِ) أي: بإضاءة. والبدر هو ليلة أربعة عشر، وإنما سمي القمر فيها بدرا لأنه يبدر بالطلوع فيسبق طلوعه مغيب الشمس.

وَقَدْ قَالَ حَقًّا فِيْهِ نَاعِتُ وَصْفِهِ ۞ شَبِيْهًا لَهُ مَا أَبْصَرَتْ قَطُّ عَيْنَانِ

(وَقَدْ قَالَ) قولا (حَقًّا فِيْهِ) أي: في حق ﷺ (نَاعِتُ وَصْفِهِ) أي: واصف صفته ﷺ بالجميل على سبيل الإجمال لعجزه عن أن يصفه وصفا تاما بالغا على سبيل التفصيل (شَبِيْهًا لَهُ) ﷺ (مَا أَبْصَرَتْ قَطُّ) بضم الطاء مشددة، أي: فيما ما مضى من الزمان (عَيْنَانِ).

وَلَا شَاهَدَ الْأَمْلَاكُ وَالْجِنُّ مِثْلَهُ ۞ وَلَا بَشَرٌ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلْقِ وَالشَّانِ

(وَلَا شَاهَدَ الْأَمْلَاكُ وَالْجِنُّ مِثْلَهُ) أي: من يساويه ﷺ (وَلَا بَشَرٌ فِي الْخَلْقِ) أي: الصورة (وَالْخُلُقِ) أي: السجية (وَالشَّانِ) أي: السيرة.

وَمَا أَدْرَكُوْا وَاللهِ غَيْرَ خَيَالِهِ ۞ وَرَبُّكَ أَدْرٰى بِالْحَقِيْقَةِ لَا ثَانِيْ

(**وَمَا أَدْرَكُوْا**) أي: الواصفون (**وَاللهِ غَيْرَ خَيَالِهِ**) ﷺ. و«الخيال» بفتح الخاء: صورة مثال الإنسان في الماء والمرآة، وهو الشيء الذي يشبه الظل، قال البوصري في الهمزية من بحر الخفيف:

إِنَّمَا مَثَّلُوْا صِفَاتِكَ لِلنَّا ۞ سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُوْمَ الْمَاءُ

والمعنى: ما مثل الواصفون صفات رسول الله المحسوسة كالبياض والمعقولة كالعلم للإنس والجن إلا تمثيلا مثل صور النجوم التى ترى في الماء دون حقيقتها وشتان ما بينهما.

(**وَرَبُّكَ أَدْرَى**) أي: أعلم (**بِالْحَقِيْقَةِ**) أي: حقيقته ﷺ ظاهرا وباطنا (**لَا ثَانِي**) لأنه تعالى قد أحاط بكل شيء علما.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَـهُ وَضَـرِيْـحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

❊ ❊ ❊

وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا كَثِيْرَ تَوَاضُعٍ ۞ شَدِيْدَ حَيَاءٍ رَاقِعًا خُرْقَ قُمْصَانِ

(**وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا**) ﷺ (**كَثِيْرَ تَوَاضُع**) كان ﷺ أشد الناس تواضعا في علوّ منصبه، وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة، وكان مع ذلك يستردف (**شَدِيْدَ حَيَاء**) لا يثبت بصره في وجه أحد. وعن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من

العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه» رواه الترمذي. فكان بغاية حيائه لا يصرح بكراهة لشيء من الأشياء بل إنما يعرف في وجهه، وكذلك العذراء في خدرها لا تصرح بكراهة الشيء بل يعرف في وجهها غالبا، ولشدة حيائه ﷺ كان يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط. وروى ابن الجوزي عن أم سلمة أنه ﷺ كان إذا أتى امرأة من نسائه غض عينه وقنع رأسه، وقال للتي تحته: عليك بالسكينة والوقار. واعلم أن الحياء محمود إذا لم ينته إلى ضعف أو جبن أو خروج عن حق أو ترك إقامة الحدّ وإلا كان مذموما، كما أفاده الباجوري (**رَاقِعًا خُرْقَ**) بضم الخاء وسكون الراء، وهو اسم مصدر بمعنى «مخروق» (**قُمْصَان**) بضم القاف، جمع «قميص» ولا يكون إلا من القطن.

وَيَخْصِفُ نَعْلَيْهِ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ ۞ وَيَخْدُمُ أَهْلِيْهِ بِرِفْقٍ وَإِحْسَانِ

(**وَيَخْصِفُ**) أي: يخرز (**نَعْلَيْهِ**) بنفسه الكريمة (**وَيَحْلُبُ**) بضم اللام (**شَاتَهُ**) أي: يخرج ما في ضرعها من اللبن (**وَيَخْدُمُ**) بكسر الدال وضمها (**أَهْلِيْهِ**) أي: أزواجه وبناته في مهنتهنّ ويقطع اللحم معهن (**بِرِفْقٍ وَإِحْسَان**) أي: إحكام.

يُحِبُّ مَسَاكِيْنًا يَعُوْدُ مَرِيْضَهُمْ ۞ يُشَيِّعُ مَوْتَاهُمْ يُوَارِيْ بِأَكْفَانِ

(**يُحِبُّ**) ﷺ (**مَسَاكِيْنًا**) يؤاكل المساكين ويجالس الفقراء (**يَعُوْدُ**) أي: يزور (**مَرِيْضَهُمْ**) المسلم برا كان أو فاجرا (**يُشَيِّعُ**) أي: يتبع (**مَوْتَاهُمْ**) أي: يخرج مع الموتى إلى القبور (**يُوَارِي**) أي: يسترهم (**بِأَكْفَان**).

وَلَيْسَ لِمَنْ أَشْوَاهُ فَقْرٌ وَفَاقَةٌ ۞ يُحَقِّرُ بَلْ يَبْدُوْ لَهُ مِنْهُ بِشْرَانِ

(**وَلَيْسَ**) ﷺ (**لِمَنْ أَشْوَاهُ**) أي: أضره (**فَقْرٌ وَفَاقَةٌ**) أي: حاجة (**يُحَقِّرُ**) ﷺ ولا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته (**بل يبدو**) أي: يظهر (**له**) أي: لذلك الشخص (**منه**) ﷺ (**بِشْرَان**) بكسر الباء، أي: طلاقة الوجه.

وَيَقْبَلُ ذَا عُذْرٍ يُمَاشِيْ أَرَامِلَا ۞ يُوَاسِيْهِمُ بِرًّا يُمَاشِيْ لِعُبْدَانِ

(**وَيَقْبَلُ ذَا عُذْرٍ**) أي: يقبل ﷺ معذرة المعتذر إليه ، وكان ﷺ في حرب فرأوا في المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف. فقال: من يمنعك مني؟ فقال: الله. فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف. وقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ. قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فقال: لا إلا أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله فجاء أصحابه. فقال: جئتكم من عند خير الناس (**يُمَاشِي**) ﷺ (**أَرَامِلا**) جمع «أرملة» وهي المرأة التي لازوج لها، من «أرمل الرجل» أي: تعذر زاده وافتقر، وتسمى تلك المرأة أرملة لافتقارها إلى من ينفق عليها. قال ابن السكيت: والأرامل المساكين رجالا كانوا أو نساء (**يُوَاسِيْهِم**) بضم الميم مع الإشباع، أي: يعينهم، أي: يعطيهم (**برا**) أي: صلة واتساعا في العطاء (**يُمَاشِي**) ﷺ (**لِعُبْدَان**) بكسر العين وضمها جمع «عبد»، أي: يمشي ﷺ معهم لقضاء حاجتهم التي قصدوه فيها. قال الغزالي في الإحياء: وما كان يأتيه ﷺ أحد حر أو عبد وأمة إلا قام معه في حاجته.

لَقَدْ مُلِئَتْ مِنْهُ الْمُلُوْكُ مَهَابَةً ۞ وَمَا هَابَهُمْ بَلْ لَمْ يَخَفْ بَأْسَ سُلْطَانِ

(**لَقَدْ مُلِئَتْ مِنْهُ**) ﷺ (**الْمُلُوْكُ**) أي: السلاطين (**مَهَابَةً**) أي: مخافة (**وَمَا هَابَهُمْ**) أي: الملوك لملكهم (**بَلْ لَمْ يَخَفْ**) ﷺ (**بَأْسَ سُلْطَان**) أي: عذابه وشدته في الحرب، يدعو ﷺ هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة.

وَيَغْضَبُ لِلّٰهِ الْكَرِيْمِ وَيَرْتَضِيْ ۞ لِمَا يَرْتَضِيْهِ زَاجِرًا أَهْلَ عِصْيَانِ

(**وَيَغْضَبُ**) ﷺ (**لِلّٰهِ الْكَرِيْمِ**) ولا يغضب لنفسه، ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق، وكان رسول الله رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن، يعرف في وجهه غضبه ورضاه، وكان إذا اشتد وجهه، أي: غضبه أكثر من مس لحيته الكريمة، وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه (**وَيَرْتَضِيْ**) أي: يختار ﷺ (**لِمَا يَرْتَضِيْهِ**) أي: ما يختاره الله وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه (**زَاجِرًا**) أي: مانعا (**أَهْلَ عِصْيَان**) من المعاصي ويعرض عن تكلم بغير جميل ولا يقول المنكر.

وَيَمْشِيْ وَرَاءَ الصَّحْبِ فِي السِّرِّ قَائِلًا ۞ دَعُوا الظَّهْرَ لِلْأَمْلَاكِ مَعْ كُلِّ رُوْحَانِي

(**وَيَمْشِي**) ﷺ (**وَرَاءَ الصَّحْبِ**) لينظر في أحوالهم فيسوسهم ويؤدبهم ويهديهم لما فيه صلاحهم ورشادهم، وهو معنى قول القائل: وكان يسوق أصحابه ويماشيهم فرادى وجماعة (**فِي السِّرِّ قَائِلًا: دَعُوا الظَّهْرَ لِلْأَمْلَاكِ مَعْ كُلِّ رُوْحَانِي**) هذا نسبة إلى الملك. قال ابن حجر في شرح الهمزية: وكان ﷺ إذا مشى معه أصحابه قدمهم أمامه،

وقال: خلوا ظهري للملائكة، وكان إذا مشى في فيء قمر أو شمس لا يظهر له ظل، وسره قوله ﷺ في دعائه: «واجعلني نورا».

وَقَدْ رَكِبَ الْهَادِيْ بَعِيْرًا وَبَغْلَةً ۞ كَذَا فَرَسٌ إِذْ كَانَ سَيِّدَ فُرْسَانِ

(**وَقَدْ رَكِبَ الْهَادِي**) إلى طريق حقٍّ ﷺ ما أمكنه (**بَعِيْرًا وَ**) مرة (**بَغْلَةً**) شهباء (**كَذَا فَرَسٌ**) مرة (**إِذْ كَانَ**) ﷺ (**سَيِّدَ فُرْسَان**) بكسر الفاء وضمها، جمع «فارس». والفارس هو: الراكب على الحافر فرسا كان أو بغلا أو حمارا، قاله ابن السكيت.

كَذَاكَ حِمَارٌ قَدْ أَتَاهُ هَدِيَّةً ۞ وَبَعْضَ مُلُوْكِ الْوَقْتِ أَهْدَاهُ وَالْآنِ

(**كَذَاكَ حِمَارٌ**) مرة (**قَدْ أَتَاهُ**) ﷺ (**هَدِيَّةً، وَبَعْضُ مُلُوْكِ الْوَقْتِ أَهْدَاهُ وَالْآنِ**) عطف تفسير أو مرادف، ومرة يمشي ﷺ راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، كذا في الإحياء.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَهُ وَضَرِيْحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

❊ ❊ ❊

وَلَمْ تَشْكُ جُوْعًا مِنْهُ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ ۞ وَلَا عَطَشًا كَهْلًا وَرَاضِعَ أَلْبَانِ

(**وَلَمْ تَشْكُ جُوْعًا مِنْهُ**) ﷺ، هذا متعلق بما بعده (**نَفْسٌ أَبِيَّةٌ**) أي: ممتنعة مما يستحي به (**وَلَا عَطَشًا**) حال كونه ﷺ (**كَهْلًا**) أي: كبيرا (**وَرَاضِعَ أَلْبَان**).

وَكَانَ كَثِيْرًا مَاءَ زَمْزَمَ يَغْتَذِيْ ۞ إِذَا مَا غَذٰى يَكْفِيْهِ فِيْ كُلِّ أَحْيَانِ

(**وَكَانَ**) ﷺ (**كَثِيْرًا**) أي: في المرات الكثيرة (**مَاءَ زَمْزَمَ**) منصوب بنزع الخافض، أي: بماء زمزم (**يَغْتَذِي**) أي: يشبع ويكتفي عن الطعام والشراب بشربه بنية الشبع والاستغناء به عن الطعام (**إِذَا مَا**) «ما» زائدة (**غَذَى**) بذال معجمة، أي: شبع وري بماء زمزم (**يَكْفِيْهِ**) ﷺ (**فِي كُلِّ أَحْيَان**)، ولذا قال ﷺ :«ماء زمزم لما شرب له»، قالت أم أيمن: «ما رأيت رسول الله ﷺ يشتكي جوعا ولا عطشا قط في صغره ولا في كبره. وكان يغدو، أي: يذهب إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة، فربما عرضت عليه الغداء فيقول: أنا شبعان». وقال في الإحياء: وكان ﷺ يأكل ما حضر ولا يردّ ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال، وإن وجد تمرا دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز بر أو شعير أكله، وإن وجد حلوا أو عسلا أكله، وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخا أو رطبا أكله، منديله باطن قدميه، لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا.

وَيعْصِبُ أَحْجَارًا عَلَى الْبَطْنِ طَاوِيًا ۞ وَلَوْ شَاءَ غُذِّيْ مِنْ جِنَانٍ بِأَلْوَانِ

(**وَيَعْصِبُ**) ﷺ، أي: يشدّ (**أَحْجَارًا عَلَى الْبَطْنِ طَاوِيًا**) أي: جائعا زهدا لا عجزا، وإنما فعل ﷺ هذا ليسكن بعض ألم الجوع لأن المعدة إذا امتلات من الطعام اشتغلت الحرارة بهضمه، فإذا لم يكن فيها طعام طابت رطوبات الجسم، فيتألم الإنسان بتلك الحرارة، فالشد يقلل الألم (**وَلَوْ شَاءَ**) ﷺ (**غُذِّي**) بالبناء للمجهول وتشديد الذال وسكون الياء للوزن، أي: أشبع واكتفى (**مِنْ جِنَانٍ بِأَلْوَان**) من الأطعمة، وقوله:

«بألوان» متعلق بـ«غذي»، وقوله: «جنان» متعلق بمحذوف حال من «ألوان»، لأن نعت النكرة إذا قدم عليها صار حالا أو متعلق بـ«غذي» أيضا، وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك».

وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وإنما كان خبزهم الشعير» رواه الترمذي، وعن ابن عباس قال: قال ﷺ: «إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غدا في الآخرة» رواه الطبراني، وعن سلمان وأبي جحيفة أن النبي ﷺ قال: «إن أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة».

وَقَدْ سَلَّمَ الْمَوْلٰى مَفَاتِيْحَ أَرْضِهِ	لِحَضْرَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ سَيِّدِ خُزَّانِ

(وَقَدْ سَلَّمَ الْمَوْلَى) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **(مَفَاتِيحَ أَرْضِهِ لِحَضْرَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ سَيِّدِ خُزَّان)** جمع «خازن»، أي: حافظ. وذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين أنه كان يقول: لم يكن النبي ﷺ فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير، بل كان أغنى الناس بالله قد كفى أمر دنياه في نفسه وعياله. وكان يقول في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللهم أحيني مسكينا»، إن المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعا من كفايته، وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى، وأما ما يروى أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «الفقر فخري وبه أفتخر» فقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: هو باطل موضوع، كذا في المواهب.

وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل على الصفا، فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سَفّةٌ من دقيق ولا كَفٌّ من سَوِيق، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هَدّةً من السماء أفزعته، فقال رسول الله ﷺ: أَمَرَ الله القيامة أن تقوم؟ قال: لا، ولكن الله أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض عليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فإن رضيت فعلت فإن شئت نبيا ملكا وإن شئت نبيا عبدا، فأومأ إليه جبريل أن تواضع، فقال: بل نبيا عبدا، ثلاثا»، رواه الطبراني. فانظر إلى همته العلية، كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأباها، ومعلوم أنه لو أخذها لأنفقها في طاعة ربه فأبى ذلك واختار العبودية المحضة، فيا لها من همة شريفة رفيعة ما أسناها، ونفس زكية كريمة ما أبهاها، أفاد ذلك القسطلاني في المواهب.

وَشُمُّ جِبَالٍ رَوَادَتْهُ بِأَنَّهَا ۞ تَكُوْنُ لَهُ تِبرًا فَلَمْ يُرِدِ الْفَانِي

(**وَشُمُّ جِبَالٍ**) و«الشم» بالضم جمع «أشم»، وهو اسم فاعل كـ«صُمّ» جمع «أصم»، وهو من إضافة الصفة للموصوف، أي: جبال مكة المرتفعة (**رَاوَدَتْهُ**) أي: طلبت منه ﷺ (**بِأَنَّهَا تَكُوْنُ لَهُ**) ﷺ (**تِبْرًا**) بكسر التاء، أي: ذهبا وفضة كذا في القاموس (**فَلَمْ يُرِد الْفَانِي**) «وروي أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نزل عليه ﷺ، فقال له: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهبا وفضة تكون معك حيثما كنت؟ فأطرق ﷺ ساعة، ثم قال: يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له، فقال له جبريل: ثبتك الله بالقول الثابت».

وَكَانَ يُقِلُّ اللَّغْوَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيْ ۞ بِـخَيْرِ تَـحِيَّاتٍ يُحَيِّـيْ بِإِعْلَانِ

(وَكَانَ) ﷺ (يُقِلُّ اللَّغْوَ) أي: الكلام المتعلق بالدنيا (يَبْدَأُ) ﷺ (مَنْ لَقِي بِخَيْرِ تَحِيَّاتٍ) وهو السلام والمصافحة والبشر والتبسم (يُحَيِّي) ﷺ (بِإِعْلَان) أي: بإظهار، كقوله ﷺ: «أفشوا السلام» أي: أظهروه.

يُطِيْلُ صَلَاةً، خُطْبَةً جُـمُعِيَّةً ۞ يُقَصِّرُهَا لٰكِنْ بِأَكْمَلِ أَرْكَانِ

(يُطِيْلُ صَلَاةً) مما يطلب فيها التطويل كالجمعة والظهر والصبح ويطيل صلاة تـهجد، (خُطْبَةً جُمُعِيَّةً يُقَصِّرُهَا لٰكِنْ بِأَكْمَلِ أَرْكَان).

يُؤَلِّفُ لِلْأَشْرَافِ يُكْرِمُ فَاضِلًا ۞ وَيَمْزَحُ حَقًّا مَعْ نِسَاءٍ وَغِلْمَانِ

(يُؤَلِّفُ لِلْأَشْرَافِ) أي: يؤنسهم بالبر لهم (يُكْرِمُ فَاضِلًا) في الأخلاق ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم (وَيَمْزَحُ) ﷺ مزحا (حَقًّا) أي: مطابقا للواقع (مَع نِسَاءٍ وَغِلْمَان) جمع «غلام» وهو الابن الصغير، وعن الحسن قال ناقلا عن غيره «أتت عجوزٌ النبيَّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال: أخبروها بأنـها لاتدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]، وعن أنس بن مالك قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، أي: يمازحنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر؟ بالتصغير فيهما، وإنما قال له النبي ﷺ: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟» لأنه كان له نغير يلعب به فمات فحزن

الغلام عليه فمازحه النبي ﷺ فقال: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟». وعن أبي هريرة قال: «قالوا يا رسول الله إنك تداعينا، قال: إني لا أقول إلاحقا»، روي ذلك كله الترمذي.

يَقُوْلُ بِمَا يَرْضَى الْإِلٰهُ مَقَالَهُ ۞ فِدَاهُ فُؤَادِيْ بَلْ وَرُوْحِيْ وَإِنْسَانِي

(**يَقُوْلُ**) ﷺ (**بِمَا يَرْضَى الْإِلٰهُ**) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (**مَقَالَهُ**) قال الغزالي في الإحياء: فإن وعظ وعظ بجد، وإن غضب وليس يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها، وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول: «اللهم أرني الحق حقا فأتبعه، وأرني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشتبه عليّ فأتبع هواي بغير هدى منك، واجعل هواي تبعا لطاعتك، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية، واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». (**فَدَاهُ**) ﷺ (**فُؤَادِي**) أي: قلبي (**بَلْ وَرُوْحِي**) بضم الراء (**وَإِنْسَانِي**) أي: جسمي.

هُوَ الشَّمْسُ فِيْ حُسْنٍ هُوَ الْبَدْرُ رَوْنَقًا ۞ مُحَيَّاهُ فَاقَ النَّيِّرَيْنِ بِحُسْبَانِ

(**هُوَ**) ﷺ (**الشَّمْسُ فِي حُسْنٍ**) أي: إشراق وإضاءة (**هُوَ الْبَدْرُ**) أي: القمر ليلة كماله (**رَوْنَقًا**) أي: حسا وملاحة (**مُحَيَّاهُ**) أي: وجهه ﷺ (**فَاقَ النَّيِّرَيْنِ**) بتشديد الياء، وهما الشمس والقمر (**بِحُسْبَان**) بضم الحاء، أي: باعتدال، قال أبو نواس :

تَتِيْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيْرُ ۞ إِذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الْأَمِيْرُ
لِأَنَّ الشَّمْسَ تَغْرُبُ حِيْنَ تُمْسِي ۞ وَإِنَّ الْبَدْرَ يُنْقِصُهُ الْمَسِيْرُ

إِلٰهِيَ رَوِّحْ رُوْحَـهُ وَضَـرِيْـحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

أَلَا خَبِّرَا عَنِّيْ أُهَيْلَ مَوَدَّتِي ۞ بِأَنِّيْ بِهِ فَانٍ إِلٰى يَوْمِ أَكْفَانِي

(**أَلَا**) حرف استفتاح وتنبيه (**خَبِّرَا**) فعل أمر مبني على فتح الراء المتصل بنون التوكيد الخفيفة (**عَنِّيْ أُهَيْلَ مَوَدَّتِي**) بفتح الميم وكسرها، أي: محبتي، و«أهيل» تصغير «أهل» (**بِأَنِّي بِهِ**) ﷺ (**فَانٍ**) أي: مشتاق وعاشق (**إِلٰى يَوْمِ أَكْفَانِي**) أي: إلى وقت موتي ومواراتي بالكفن.

أَرٰى حُـبَّـهُ دِيْنِيْ وَرُشْدِيْ وَمِلَّتِيْ ۞ وَتَعْدَادُ مَا قَدْ حَازَ فِي الْحُسْنِ أَعْيَانِي

(**أَرٰى**) أي: أعتقد (**حُبَّهُ**) ﷺ (**دِيْنِيْ وَرُشْدِيْ**) أي: هدايتي (**وَمِلَّتِيْ، وَتَعْدَادُ مَا قَدْ حَازَ**) أي: جمع (**فِي الْحُسْنِ**) أي: الصفة الجميلة (**أَعْيَانِي**) أي: أعجزني، وجملة الفعل والفاعل خبر المبتدإ.

أَهِيْمُ بِهِ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ ۞ وَأَهْلِيْ جَـمِيْعًا ثُمَّ صَحْبِيْ وَإِخْوَانِي

(**أَهِيْمُ**) أي: أحبه حبا شديدا، (**بِهِ**) أي: بالهيام بحبه ﷺ (**فِي كُلِّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ وَأَهْلِي**) أي: قرابتي وأتباعي (**جَمِيْعًا ثُمَّ صَحْبِي وَإِخْوَانِي**) بكسر الهمزة وضمها، أي: أصدقائي وصواحبي.

هَـوَاهُ أَنِيْسِيْ فِي الْـجَنَادِلِ حُبُّهُ ۞ لَطِيْفَةُ رُوْحِيْ بَلْ وَرَوْحِيْ وَرَيْـحَانِي

(**هَوَاهُ**) أي: حبه ﷺ (**أَنِيْسِي**) أي: مؤنسي وقت كوني مدفونا (**فِي الْجَنَادِلِ**) أي: تحت الحجارة التي يسقف بـها القبر، وهو جمع «جندل»، وهو ما يرفعه الرجل من الحجارة (**حُبُّهُ**) ﷺ (**لَطِيْفَةُ رُوْحِي**) بضم الراء، وهو ما به حياة الأنفس، واللطيفة هي التي لا تقبل التجزؤ، أي: انفصل الأجزاء منها (**بَلْ وَرَوْحِيْ**) بفتح الراء، أي: راحتي (**وَرَيْحَانِي**) أي: رزقي الحسن.

واعلم أن أفضل الأعمال وأسرعها إنتاجا وأعظمها وسيلة محبة نبينا ﷺ، فإنـها سبب لكل خير دبيوي وأخروي، فعليك أن تكون ممن امتلا قلبه بحب النبي ﷺ امتثالا لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله ﷺ :«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين» أفاده ابن حجر في شرح الهمزية.

لَهُ مُعْجِزَاتٌ أَخْرَسَتْ كُلَّ جَاحِدٍ ۞ وَسَلَّتْ عَلَى الْمُرْتَابِ صَارِمَ بُرْهَانِ

(**لَهُ**) ﷺ (**مُعْجِزَاتٌ**) جمع «معجزة»، وهي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدقه ﷺ، سميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها، كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله: (**أَخْرَسَتْ كُلَّ جَاحِدٍ**) أي: منكر مع علم (**وَسَلَّتْ عَلَى الْمُرْتَابِ**) أي: الشاك (**صَارِمَ بُرْهَان**)، هذا إما من إضافة الصفة للموصوف، أي: برهانا صارما، أي: حجة قاطعة، أو من إضافة المشبه به للمشبه، فإن الصارم اسم للسيف كما دل عليه قوله: «وسلت» فإن معناه أخرجت من الغمد، والمعنى أخرجت المعجزة

وأظهرت على الشاك حجة مشبهة بالسيف، لأن الحجة تقطع الخصومة كما أن السيف يقطع الرقبة مثلا.

دَعَا سَرْحَةً عَجْمَا فَلَبَّتْ وَأَقْبَلَتْ	تَـجُرُّ ذُيُوْلَ الزَّهْوِ مَا بَيْنَ أَفْنَانِ

(دَعَا) ﷺ **(سَرْحَةً)** أي: شجرة عظيمة **(عَجْمَا)** أي: لا تتكلم، بالقصر للوزن، تأنيث «أعجم» **(فَلَبَّتْ)** أي: أجابت **(وَأَقْبَلَتْ)** أي: إلى رسول الله **(تَجُرُّ ذُيُوْلَ الزَّهْوِ)** أي: العروق الخضر **(مَا بَيْنَ أَفْنَان)** أي: أغصان، وهو جمع «فنن» كـ«سبب» و«أسباب».

وعن بريدة: «سأل أعرابي النبي ﷺ فقال له: قل لذلك الشجرة: رسول الله يدعوك، فقال لها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جائت تجر عروقها مغيرة حتى وقفت بين يدي النبي ﷺ، فقالت: السلام عليك يا رسول الله، فقال الأعرابي: مُرْها أن ترجع إلى منبتها، فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت، فقال الأعرابي: ائذن لي أن أسجد إليك، قال: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، قال: فائذن لي أن أقبل يديك ورجليك، فأذن له».

وأخرج ابن إسحاق «أن النبي ﷺ لما نبئ لقيه ورقة بن نوفل ببعض طرق مكة وكان يدين بالنصرانية، فقال: يا محمد لم يبعث نبي قط إلا كانت له علامة، فقال رسول الله ﷺ لسَمُرَة: تعالي، فأقبلت تَخُدّ أرض الوادي خدا حتى وقفت بين يديه، فقال: أتشهدين أني رسول الله؟ قالت: أشهد أنك رسول الله، فقال ورقة: والذي نفسي بيده لو أمرت بالقتال لأنصرنك نصرا مؤيدا». قوله: «تخد» بضم الخاء المعجمة وتشديد

الدال المهملة، أي: تشق.

أَشَارَ إِلَى الْبَدْرِ الْمُنِيْرِ بِكَفِّهِ ۞ فَخَرَّ لَهُ مِنْ أَوْجِهِ وَهْوَ نِصْفَانِ

(**أَشَارَ**) ﷺ (**إِلَى الْبَدْرِ الْمُنِيْرِ بِكَفِّهِ فَخَرَّ**) أي: سقط البدر (**لَهُ**) ﷺ (**مِنْ أَوْجِهِ**) أي: علوه (**وَهْوَ نِصْفَانِ**)، نصفه على جبل أبي قبيس ونصفه الآخر على جبل قعيقعان، كذا في تفسير المحلي.

ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما». ومن حديث ابن مسعود: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا».

وَقَدْ أَشْبَعَ الْـجَمَّ الْغَفِيْرَ جَنَابُهُ ۞ بِمُدِّ شَعِيْرٍ صَحَّ ذَا بَيْنَ أَخْدَانِي

(**وَقَدْ أَشْبَعَ الْجَمَّ**) أي: الجماعة (**الْغَفِيْرَ**) أي: الكثير شريفهم ووضيعهم لم يتخلف أحد (**جَنَابُهُ**) ﷺ (**بِمُدِّ شَعِيْرٍ صَحَّ ذَا**) أي: هذا الحديث (**بَيْنَ أَخْدَانِي**) أي: صواحبي. وعن على بن أبي طالب قال: «جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفَرَق، فصنع لهم مدا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي كما هو، ثم دعا بعُسّ فشربوا حتى رووا، وبقي كأنه لم يشرب منه» كذا في المواهب نقلا عن الشفاء. و«الفرق» بفتحتين: إناء بالمدينة يسع تسعة عشر رطلا. و«العس» بضم العين: القدح الكبير.

وَأَرْوَى بِـمَـاءٍ مِنْ أَنَامِـلِ كَـفِّـهِ ۞ لِجُمْلَةِ صَحْبٍ حِيْنَ جَادَتْ كَسَيْحَانِ

(وَأَرْوَى) ﷺ (بِمَاءٍ مِنْ أَنَامِلِ كَفِّهِ لِجُمْلَةِ صَحْبٍ) جمع «صاحب» (حِيْنَ جَادَتْ) أي: كثر سيلان الأنامل (كَسِيْحَانِ) وهو نهر بالشام ونهر آخر بالبصرة. وعن ابن مسعود قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله: اطلبوا من معه فضل ماء، فأتي بماء فصبّه في إناء ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ». وعن أنس قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع يده في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخر هم، وكانوا ثمانين رجلا». وفي رواية: «فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم، فقيل لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا ثلثمائة». وعن جابر قال: «عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه، فقال: ما لكم؟ فقالوا: يا رسول الله ما عندنا ماء نتوضأ به ولا نشربه إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[1].

وَهَزَّ قَضِيْبًا يَوْمَ أُحْدٍ لِـحَاجَةٍ ۞ فَعَادَ صَقِيْلًا فِيْ يَدَيْ خَيْرِ شُجْعَانِ

(وَهَزَّ) أي: حرك (قَضِيْبًا) وهو من الغصن المقطوع (يَوْمَ أُحُدٍ) بضم الهمزة

(١) قوله: (خمس عشرة مائة) أي: ألف وخمسمائة.

وسكون الحاء للوزن، وهو جبل مشهور بقرب مدينة النبي ﷺ من جهة الشام على أقل من فرسخ منها، ويقال له: دوعيين، وكانت عنده الواقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث من الهجرة بالاتفاق يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه، وقيل: لسبع ليال خلون منه، وقيل: في نصفه **(لِحَاجَةٍ فَعَادَ)** أي: القضيب، أي: صار سيفا **(صَقِيْلًا)** أي: خالصا من الصداء **(فِي يَدَيْ خَيْرِ شُجْعَانِ)**، وقال القسطلاني: انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم أحد فأعطاه ﷺ عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به. وكان ذلك السيف يسمى العرجون، ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار، وهذا نحو حديث عكاشة في غزوة بدر، وهو قال ابن إسحاق: «وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلا من حطب، فقال له: قاتل به، فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل وهو عنده، وهو عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان.

وَنَاهِيْكَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيْمِ وَمَا احْتَوٰى ۞ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْجَازِ مَعْ حُسْنِ إِتْقَانِ

(وَنَاهِيْكَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيْمِ) وهو القرآن. وهذه كلمة تَعَجُّب واستعظام، وهي كما يقال: «حسبك بذلك معجزة»، ومعناها أن القرآن غاية تنهاك عن طلب غيره من المعجزات **(وَمَا احْتَوٰى)** أي: الذكر الحكيم **(عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْجَازِ)** بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثله **(مَعْ حُسْنِ إِتْقَان)** أي: في النظم والفصاحة.

مَصَاقِعُ نَـجْدٍ مَعْ تِهَامَةَ أُحْصِرُوْا ۞ مِنَ الْمِثْلِ فِيْ آيٍ وَأَفْصَحُ عَرْبَانِ

(مَصَاقِعُ) أي: فصحاء وبلغاء (نَجْدٍ) وهو المرتفع من الأرض (مَعْ تِهَامَةَ) وهي: ما انخفض من الأرض (أُحْصِرُوْا) أي: عجزوا (مِن) الإتيان بـ(الْمِثْلِ فِي آيٍ) جمع «آية» (وَأَفْصَحِ) أهل (عَرْبَان) بفتح العين: وهي البلاد التي سكنها العرب، وسموا عربا، لأنـهم سكنوا في البلاد التي تسمى بالعربان. قوله «وأفصح» معطوف على الواو في «أحصروا» أو على «مصاقع».

قال القسطلاني: فقد تحدى ﷺ بما في القرآن من الإعجاز ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة من مثله، فنكلوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشيء منه. وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة «أنه قال للنبي ﷺ: اقرأ عليّ، فقرأ عليه ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠] إلى آخر الآية، قال: أعد، فأعاد ﷺ، فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر، ثم قال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن [مني]، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لَحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى».

واعلم أن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر، لكن قال بعضهم : قد اختلف العلماء في إعجازه على ستة أوجه :

- أحدها: أن وجه إعجاز القرآن هو الإيجاز والبلاغة.

- والثاني: هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع، فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بـها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة في نظمهم ونثرهم.
- والثالث: هو أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة وطلاوة.
- والرابع: هو ما فيه من الإخبار بما كان مما علموه وما لم يعلموه، فإذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه.
- والخامس: هو ما فيه من علم الغيب والإخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته.
- والسادس: هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم تتعاط العرب فيها الكلام ولا يحيط بـها من علماء الأمم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب.

لَهُ الشَّمْسُ رُدَّتْ وَالْبَعِيْرُ شَكَا لَهُ ۞ وَمِنْ صَائِدٍ قَدْ فَكَّ مَأْسُوْرَ غِزْلَانِ

(**لَهُ**) ﷺ (**الشَّمْسُ رُدَّتْ**)، وذلك لما أسري بالنبي ﷺ وأخبره قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجئ، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس. وكذا روي حبس الشمس لنبينا ﷺ أيضا يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر. وكذا روي عن أسماء بنت عميس أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر فوضع ﷺ رأسه في حجر عليّ ونام حتى غابت الشمس ولم يمكنه إيقاظه لاحتمال أنه

يوحى إليه، فلما استيقظ سأله، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أصليت يا عليّ؟ قال: لا، فقال رسول الله: اللهم إن عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فردّ عليه الشمس، قالت أسماء: فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، وقام علي فتوضأ وصلى العصر، ثم غابت، وذلك بالصهباء قرب خيبر، وهذا الحديث الأخير منكر ليس في شيء من الصحاح والحسان.

(وَالْبَعِيْرُ شَكَا لَهُ) ﷺ كما في حديث يعلى بن مرة الثقفي «بينا نحن نسير مع النبي ﷺ إذ مررنا ببعير يُسنَى عليه، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه رسول الله ﷺ فقال: أين صاحب هذا البعير؟ فجاءه فقال: بِعْنِيْهِ، فقال: بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيتٍ ما لهم معيشةٌ غيره، فقال: أما إذ ذكرتَ هذا من أمره، فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف، فأحسنوا إليه»، و«الجران» بكسر الجيم: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره.

وعن عبد الله بن جعفر قال: «أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فدخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ فذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفريه، ثم قال: مَن رَبُّ هذا الجمل لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال: هذا لي يا رسول الله، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إليّ أنك تُجِيْعُهُ وتُدْئِبُه». قوله «ذفريه» تثنية «ذفر» بكسر الذال المعجمة، وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند أذنه.

(وَمِنْ صَائِدٍ قَدْ فَكَّ) ﷺ **(مَأْسُوْرَ غِزْلَانٍ)** أي: قيدها، وهو جمع «غزال». وعن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «بينما رسول الله ﷺ في صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف:

يا رسول الله، ثلاث مرات، فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق، وأعرابي مجندل في شملة نائم في الشمس، فقال: ما حاجتك؟ قالت: صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع، قال: وتفعلين؟ فقالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أعد، فأطلقَها فذهبت ورجعت فأوثقها النبي ﷺ، فانتبه الأعرابي، وقال: يا رسول الله ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الطبية، فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله».

وَسَبَّحَتِ الْحَصْبَاءُ فِيْ بَطْنِ كَفِّهِ ۞	وَرَدَّ بِهَا عَيْنًا جَرَتْ فَوْقَ أَوْجَانِ

(**وَسَبَّحَتِ الْحَصْبَاءُ**) أي: الحصى (**فِي بَطْنِ كَفِّهِ**) ﷺ. وعن أبي ذر قال : «كنت أتبع خلوات رسول الله ﷺ أتعلم منه فخرج يوما حتى أتى مكان كذا وكذا، قال: فجئت فسلمت وجلست إليه، فقال: ما جاء بك يا أبا ذر؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، إذ جاء أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسلم وجلس عن يمين رسول الله ﷺ فقال: ما جاء بك يا أبا بكر؟ فقال: الله ورسوله أعلم، إذ جاء عُمَرُ فسلم وجلس عن يمين أبي بكر، فقال: ما جاء بك يا عمر؟ فقال: الله ورسوله أعلم، إذ جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر، فقال: ما جاء بك يا عثمان؟ فقال: الله ورسوله أعلم، ثم تناول حصيات سبعا أو تسعا، فسبحن في يده ﷺ حتى سمعت لهن دويا كدوي النحل، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن دويا كدوي النحل، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن دويا كدوي النحل، ثم تناولهن النبي ﷺ فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن دويا كدوي النحل، ثم وضعهن في يديّ فسبحن» كذا في النطق

المفهوم. (وَرَدَّ) ﷺ (بِهَا) أي: بكفه (عَيْنًا جَرَتْ) أي: سقطت (فَوْقَ أَوْجَان) كما قال القسطلاني: «وأصيب يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني على هذه الحالة تقذرني، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها وقال: باسم الله اللهم اكسها جمالا، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظرا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى».

بِبَرٍّ وَبَحْرٍ مِنْ رِمَالٍ وَحِيْتَانِ	إِلٰى غَيْرِ ذَا مِنْ مُعْجِزَاتٍ بِقَدْرِ مَا

(إِلٰى غَيْرِ ذَا) المذكور (مِنْ مُعْجِزَاتٍ) له ﷺ (بِقَدْرِ مَا) كان (بِبَرٍّ وَبَحْرٍ مِنْ رِمَالٍ) بيان لما كان في بر (وَحِيْتَان) جمع «حوت»، بيان لما كان في بحر، والمراد بذلك التكثير، كما قال القسطلاني: ولو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم من مواهبه، ولكان المسلم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها، انتهى. كما أشار ﷺ إلى ذلك بقوله: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام»، ذكره الباجوري. ثم قال: وسبب ذلك أنه ﷺ خاتم النبيين، فشريعته باقية إلى يوم الدين، فناسب أن تكون معجزته كذلك.

وَمُوْسٰى وَعِيْسٰى بَلْ وَمُلْكُ سُلَيْمَانِ	وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ الْخَلِيْلُ وَآدَمُ

(وَلَوْلَاهُ) ﷺ (مَا كَانَ الْخَلِيْلُ) إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (وآدَمُ) أبو البشر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (وَمُوْسٰى) الذي كلمه الله تعالى (وَعِيْسٰى) ابن مريم العذراء (بَلْ وَمُلْكُ سُلَيْمَان) بن

داود عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، لأن نوره ﷺ أصل كل مخلوق كما في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري : «أن النبي ﷺ قال له لما سأله عن أول شيء خلقه الله: يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، أي: من نور هو ذاته تعالى، أي: خلقه بذاته تعالى، والمراد خلقه بلا مادة ولا واسطة، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله يتردد ويذهب في خزائن الغيب، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس»، واختلفوا في أول المخلوقات بعد النور المحمدي، والصحيح أنه الماء ثم العرش ثم القلم كما قيل:

نُوْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مُقَدَّمٌ ۞ فَالْمَاءُ ثُمَّ الْعَرْشُ ثُمَّ الْقَلَمُ

كذا أفاده حسن المدابغي.

أَتَوْا قَبْلَهُ فِي الشَّكْلِ لٰكِنَّهُ الَّذِيْ ۞ بِمَعْنَاهُ وَافٰى قَبْلَهُمْ وَهْوَ نُوْرَانِيْ

(أَتَوْا) أي: الرسل (قَبْلَهُ) ﷺ (فِي الشَّكْلِ) أي: في صورة جسمه وشخصه (لٰكِنَّهُ) ﷺ (الَّذِيْ بِمَعْنَاهُ) أي: حقيقته ونوره، والجار والمجروز متعلق بما بعده (وَافٰى) أي: أتى (قَبْلَهُمْ) أي: الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ (وَهْوَ) ﷺ (نُوْرَانِي)، نسبة إلى النور، وليس المراد بالنور هنا ما قابل الظلمة، بل المراد به حقيقة خلقها الله تعالى وسماها نورا ولا يعلم كنهها إلا الله تعالى، وقيل: إنها متشكلة على صورته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الوجود الخارجي وإلا سلم الوقف عن ذلك، كما أفاده الباجوري.

لِأُمَّتِهِمْ جَاؤُوْا يَنُوْبُوْنَ عَنْهُ فِي ۞ بَلَاغِ رِسَالَاتٍ وَإِخْـمَادِ طُغْيَانِ

(**لِأُمَّتِهِمْ**) متعلق بما بعده (**جَاؤُوْا**) أي: الرسل (**يَنُوْبُوْنَ عَنْهُ**) ﷺ (**فِي بَلَاغِ رِسَالَاتٍ**) من الله تعالى، فهو ﷺ مرسل للأمم السابقة، لكن بواسطة الرسل، فهم نواب عنه ﷺ، وبهذا قال الشيخ السبكي ومن تبعه أخذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]، والذي عليه الجمهور أنه ﷺ مرسل لهذه الأمة دون الأمم السابقة، والحق: الأول، كما أفاده الباجوري (**وَإِخْمَادِ**) أي: إماتة (**طُغْيَان**) أي: عصيان بالكفر.

وَذَا بَعْضُ مَا أُعْطِيْ وَخُصَّ نَبِيُّنَا ۞	وَمَا حَصْرُ مَا قَدْ حَازَ وُسْعِيْ وَإِمْكَانِي

(**وَذَا**) المذكور كله من صفات رسول الله ﷺ (**بَعْضُ مَا أُعْطِيْ**) نبينا (**وَ**) بعض ما (**خُصَّ نَبِيُّنَا وَ**) ذا (**مَا**) أي: الذي هو (**حَصْرُ**) أي: آخر (**مَا قَدْ حَازَ**) أي: جمع (**وُسْعِي**) بضم الواو، أي: طاقتي وقوتي، ويجوز فتحها كما قرأ به ابن أبي عملة، وكسرها كما قرأ به عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] (**وَإِمْكَانِي**) أي: سهولتي وتيسيري، ولا يقدر أحد من المخلوفين على عد صفاته ﷺ باستقصائها على الكمال ولا على تفصيلها بالاستكمال ولكن يعبر عنها بطريق الإجمال واختصار المقال، وقد رؤي العارف السراج ابن الفارض السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النوم، فقيل له: لم لا مدحت النبي ﷺ، أي: بالتصريح؟ فقال:

أَرٰى كُلَّ مَدْحٍ فِي النَّبِيِّ مُقَصِّرًا ۞ وَإِنْ بَالَغَ الْمُثْنِي عَلَيْهِ وَأَكْثَرَا

إِذَا اللّٰهُ أَثْنٰى بِالَّذِيْ هُوَ أَهْلُهُ ۞ عَلَيْهِ فَمَا مِقْدَارُ مَا يَمْدَحُ الْوَرٰى

وَمِنْ فَدْفَدِ الْإِيْضَاحِ أَقْصى نِهَايَةٍ ۞ لَقَدْ أَبْلَغَ الْإِمْلَاءَ وَارِدُ رَبَّانِي

(وَمِنْ فَدْفَدِ الْإِيْضَاحِ)، والفدفد: بفتح الفاءين وسكون الدال التي بينهما، وهو الأرض المستوية أو المكان المرتفع أو الصوت الشديد، وإضافته لـ«الايضاح» من إضافة المشبه به للمشبه، فشبه «الإيضاح» بالأرض المستوية في عدم الصعوبة أو شبهه بالمكان المرتفع أو بالصوت الشديد في البيان (أَقْصى) أي: أبعد (نِهَايَةٍ) أي: آخر (لَقَدْ أَبْلَغَ الْإِمْلَاءَ) أي: إلقاء الكلام (وَارِدُ رَبَّانِي) منسوب إلى الرب وهو الله تعالى، أي: فيض إلهي. قوله «الإملاء» مفعول أول، وقوله «وارد» فاعل، وقوله «أقصى» مفعول ثان لـ«أبلغ»، والواو في قوله «ومن فدفد» داخلة في قوله «لقد». ومعنى هذا البيت ولقد أوصل فيض إلهي الإملاء أقصى نهاية من الإيضاح، أي: البيان.

إِلٰى هٰهُنَا كَفَّ اطِّرَادَ اهْتِمَامِهِ ۞ جَوَادُ مَقَالٍ فِيْ مَهَامِهِ تِبْيَانِ

(إِلٰى هٰهُنَا كَفَّ) أي: منع (اطِّرَادَ اهْتِمَامِهِ) أي: القيام بالمقال، فالضمير عائد على «المقال» وإن كان متأخرا لفظا فهو متقدم حكما لأن رتبة الفاعل متقدمة على رتبة المفعول، و«الاطراد» بتشديد الطاء معناه الجري والتسابق، فإضافته إلى «الاهتمام» من الإضافة التي للبيان أو من إضافة المشبه به للمشبه، فشبه القيام بالأمر بالتسابق بالفرس في التحفظ (جَوَادُ) أي: فرس (مَقَالٍ)، هذا من إضافة المشبه به للمشبه، فشبه المقال بالفرس الجيد في السرعة، (فِي مَهَامِهِ تِبْيَان) أي: وضوح. و«المهامه» جمع «مهمه»، وهي المفازة البعيدة، فالهاء الأخيرة لام الكلمة، فإضافته لـ«تبيان» من إضافة المشبه به للمشبه، فشبه التبيان بالمفازة البعيدة التي هي الموضع المهلك في الاتساع،

والجار والمجرور متعلق بـ«اطراد» الذي هو مفعول مقدم.

إِلٰهِي رَوِّحْ رُوْحَـهُ وَضَـرِيْـحَهُ ۞ بِعَرْفٍ شَذِيٍّ مِنْ صَلَاةٍ وَرِضْوَانِ

* * *

فَيَا مَانِحَ الطُّلَّابِ كلَّ عَطِيَّةٍ ۞ إِذَا رَفَعُوْا صِفْرَ الْيَدَيْنِ بِإِذْعَانِ

(**فَيَا مَانِحَ الطُّلَّابِ**) بضم الطاء وتشديد اللام، جمع «طالب»، أي: يا معطي السائلين (**كُلَّ عَطِيَّةٍ إِذَا رَفَعُوْا**) أي: الطلاب (**صِفْرَ الْيَدَيْنِ**) بكسر الصاد، أي: خالي اليدين (**بِإِذْعَان**) أي: خضوع.

تَنَزَّهْتَ فِيْ ذَاتٍ وَوَصْفٍ عَنِ السِّوٰى ۞ بَلَا شَبَهٍ تُعْطِيْ وَتَقْضِيْ بِـحِرْمَانِ

(**تَنَزَّهْتَ**) يا الله (**فِي ذَاتٍ وَوَصْفٍ**) أي: صفة (**عَنِ السِّوٰى**) أي: الغير (**بِلَا شَبَهٍ**) أي: مشابه في ذلك (**تُعْطِي**) من تشاء (**وَتَقْضِي**) أي: تحكم على من تشاء (**بِحِرْمَان**) أي: بمنع من العطايا.

قَدِيْمٌ مِنَ الآزَالِ حَقٌّ لَكَ الْبَقَا ۞ فَلَيْسَ عَلٰى غَيْرٍ سِوَائِكَ تُكْلَانِي

أنت (**قَدِيْمٌ**) أي: لا أول لوجودك (**مِنَ الْآزَالِ**) بمد الهمزة، وهو جمع «أزل» مثل «سبب» و«أسباب»، ومعناه: استمرار الوجود في أزمنة غير متناهية في جانب الماضي، كما أن «الأبد» استمرار الوجود في أزمنة غير متناهية في جانب المستقبل.

اعلم أن الموجود أقسام ثلاثة لا رابع لها: فإنه إما أزلي أبدي وهو الله سبحانه وتعالى، أو لا أزلي ولا أبدي وهو دار الدنيا، أو أبدي لا أزلي وهو الدار الآخرة، وعكسه محال. فإن ما ثبت قِدمه استحال عدمه، كذا في التعريفات. أنت (**حَقٌّ**) أي: ثابت الوجود فلا ينكر وجودك (**لَكَ الْبَقَا**) بحذف الهمزة، أي: الدوام (**فَلَيْسَ عَلَى غَيْرٍ**) بالتنوين (**سِوَائِكَ تُكْلَانِي**) بضم التاء، أي: اعتمادي ووثوقي.

بِقُدْرَتِكَ الْعَلْيَاءِ دَامَ اسْتِنَادُنَا ۞ بِفَضْلِكَ يَا مِفْضَالُ تَهْدِيْ لِحَيْرَانِ

(**بِقُدْرَتِكَ الْعَلْيَاءِ**) بفتح العين وبالمد كما في المصباح، وهي ما يكون لها كمال يعم تعلقها بجميع الممكنات (**دَامَ اسْتِنَادُنَا**) أي: اعتمادنا (**بِفَضْلِكَ**) أي: بإحسانك ابتداء بلا علة (**يَا مِفْضَالُ**) أي: كثير الفضل، وهو صيغة مبالغة (**تَهْدِي لِحِيْرَان**) إلى المصالح الدينية والدنيوية.

بِنُوْرِكَ يَا اَللهُ نَدْعُوْكَ جَهْرَةً ۞ وَبِالْمُصْطَفَى مُنْجِي الْأَسِيْرِ مَعَ الْعَانِي

(**بِنُوْرِكَ**) أي: بذاتك الذي ظهر بوجوب الوجود (**يَا اَللّٰهُ**) أي: يا من تقدم وجوده وتعاظم ذاته وصفاته وعم جوده، كما أفاده السيوطي، (**نَدْعُوْكَ**) أي: نبتهل إليك بالسؤال ونرغب فيما عندك من الخير (**جَهْرَةً وَبِالْمُصْطَفَى مُنْجِي الْأَسِيْرِ مَعَ الْعَانِي**) أي: الخاضع الذليل.

إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِهِ وَهْوَ ذُخْرُنَا ۞ كَذَا بِنُجُوْمِ الْآلِ إِكْلِيلِ تِيْجَانِ

(**إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا**) أي: تقربنا (**بِهِ**) ﷺ (**وَهْوَ**) أي: المصطفى (**ذُخْرُنَا**) في الآخرة،

أي: المعد لنا لوقت الحاجة إليه (**كَذَا بِنُجُوْمِ الْآلِ**)، والمراد بالآل هنا: العلماء الأتقياء الذين هم من أولاده ﷺ بدليل سياق الكلام، فشبّه العلماء بالنجوم في الهداية، وهو من إضافة المشبه به للمشبه (**إِكْلِيْلِ تِيْجَانِ**)، و«الإكليل» بكسر الهمزة: التاج للعجم كالعمامة للعرب شبه عصابة تزين بالجوهر، و«التيجان» جمع «تاج»، والإضافة للبيان، فشبه العلماء الأتقياء بالتيجان في المكرمة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال ﷺ: «أكرموا العلماء فإنهم عند الله كرماء».

هُدَاةِ الْوَرٰى، وَالصَّحْبِ طُرًّا بِأَسْرِهِمْ ۞ وَلَا سِيَّمَا صِهْرَيْهِ أَيْضًا وَأَخْتَانِ

(**هُدَاةِ الْوَرٰى**) أي الخلق، و«الهداة» جمع «هاد» ولا يكون كذلك إلا العلماء (**وَالصَّحْبِ**) والمراد به هنا: الصحابي، وهو: من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنا به ببدنه في الأرض ولو لحظة (**طُرًّا**) بضم الطاء، أي: جميعا (**بِأَسْرِهِمْ**) أي: بجميعهم (**وَلَاسِيَّمَا صِهْرَيْهِ**) ﷺ، و«الصهر» بكسر الصاد: أهل بيت المرأة، والمراد هنا: أبوها، والصهران أبو بكر وعمر، فأبو بكر: أبو السيدة عائشة، وعمر: أبو السيدة حفصة (**أَيْضًا**) أي: كما توسلنا بهؤلاء المذكورين توسلنا بصهريه أيضا (**وَأَخْتَانِ**) جمع «ختن» بفتحتين، وهو زوج البنت، والمراد بالأختان هنا: عثمان وعليّ فالجمع للإثنين، فعثمان: زوج السيدتين رقية وأم كلثوم، وعليّ: زوج السيدة فاطمة.

وَأَحْبَارِ هٰذَا الدِّيْنِ مَنْ سَارَ ذِكْرُهُمْ ۞ مَسِيْرَ الْقَطَا وَالْقَطْرِ فِيْ كُلِّ عُمْرَانِ

(**وَأَحْبَارِ هٰذَا الدِّيْنِ**) أي: علمائه أو صلحائه، وهو دين سيدنا محمد ﷺ، و«الأحبار» جمع «حبر» بكسر الحاء كـ«حمل» و«أحمال»، ويجوز فتحها، وجمعه

«حبور» مثل «فلس» و«فلوس» كما في المصباح، ومعناه: العالم أو الصالح كما في القاموس (**مَنْ سَارَ**) أي: ذهب (**ذِكْرُهُمْ**) أي: شرفهم وذكرهم الحسن في الناس (**مَسِيْرَ الْقَطَا**) وهو طير فيه نقش أحمر وهو مشهور بأنه لا يخطىء الطريق (**وَالْقَطْرِ**) أي: المطر (**فِي كُلِّ عُمْرَان**) أي: بنيان.

واعلم أن فضل العلماء لا يخفى على أحد من ذوي العقول، وقد أشار إلى ذلك سيدنا علي بن أبي طالب، وقيل إمامنا الشافعي بقوله:

اَلنَّاسُ مِنْ جِهَةِ التِّمْثَالِ أَكْفَاءُ ۞ أَبُوْهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَـوَّاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَاكِلَةٌ ۞ وَأَعْظُمٌ خُلِقَتْ فِيْهَا وَأَعْضَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ فِيْ أَصْلِهِمْ حَسَبٌ ۞ يُفَاخِرُوْنَ بِهِ فَالطِّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ۞ عَلَى الْهُدٰى لِمَنِ اسْتَهْدٰى أَدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ۞ وَلِلرِّجَالِ عَلَى الْأَفْعَالِ أَسْمَاءُ
وَضِدُّ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ ۞ وَالْجَاهِلُوْنَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ۞ اَلنَّاسُ مَوْتٰى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

ذكر ذلك الشربيني في تفسيره.

وَمَنْ فِي الزَّوَايَا بِالْخُمُوْلِ لَقَدْ رَضُوْا ۞ وَلَمْ يَكْحُلُوْا بِالنَّوْمِ سُهَّدَ أَجْفَانِ

(**وَمَنْ فِي الزَّوَايَا**) جمع «زاوية»، وهي: ركن البيت أو ما بني كهيئة المسجد لذكر الله تعالى (**بِالْخُمُوْلِ**) بالخاء المعجمة، أي: التواري والاستخفاء (**لَقَدْ رَضُوْا**)

واختاروا، وجُمِعَ الضمير باعتبار معنى «من» (**وَلَمْ يَكْحُلُوْا**) بضم الحاء (**بِالنَّوْمِ سُهَّدَ أَجْفَانٍ**) جمع «جفن»، و«سهد» بضم السين وفتح الهاء المشددة اسم فاعل وهو جمع «ساهد»، ويجوز حذف الألف بعد الهاء وإثباتها وهو أحسن، فإضافته إلى «أجفان» من إضافة الصفة للموصوف، أي: الأجفان السهد. ومعنى النظم: الذين لم يناموا إلا قليلا.

فَيَا رَبِّ وَفِّقْنَا لِإِخْلَاصِ نِيَّةٍ	**بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ وَاخْتِمَنَّ بِإِيْمَانِ**
وَإِنْجَاحِ مَطْلُوْبٍ وَإِبْلَاغِ مَقْصَدٍ	**كَذَا وَتَقِيْنَا كُلَّ شَرٍّ وَخِذْلَانِ**

(**فَيَا رَبِّ وَفِّقْنَا لِإِخْلَاصِ نِيَّةٍ**) لك يا الله (**بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ**) فلا يصدر ذلك منا إلا منك وإليك (**وَاخْتِمَنَّ**) لنا (**بِإِيْمَان**) فنفوز بعفوك وجَنَّتِك ونتمتع بالنظر إلى وجهك الكريم (**وَإِنْجَاحِ مَطْلُوْبٍ**) أي: قضاء مطلوبنا ونيله منك، وهذا معطوف على قوله «لإخلاص نية» (**وَإِبْلَاغِ مَقْصَدٍ**) بفتح الميم والصاد، وهو مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول (**كَذَا**) أي: كما ذكر (**وَ**) نسألك أن (**تَقِيْنَا**) بسكون الياء، أي: تجنبنا (**كُلَّ شَرٍّ**) من سوء وفساد وظلم (**وخذلان**) بكسر الخاء، أي: عدم حصول النصرة.

وَمَا قَدْ ظَنَنَّا فِيْكَ مِنْ حُسْنِ ظَنِّنَا	**تُحَقِّقْ وَتَكْفِيْنَا أَذِيَّةَ شَيْطَانِ**

(**وَمَا قَدْ ظَنَنَّا فِيْكَ مِنْ حُسْنِ ظَنِّنَا**) بأنك تغفر ذنوبنا وترحمنا وتقضي حاجاتنا نسألك أن (**تُحَقِّقْ**) بسكون القاف، أي: أن تجعله ثابتا لازما لنا (**وَ**) نسألك أن (**تَكْفِيْنَا**) بسكون الياء، أي: تحمينا (**أَذِيَّةَ الشَّيْطَانِ**).

وَلَا تَجْعَلَنَّا كَالَّذِي قَدْ هَوٰى بِهِ ۞ هَوَاهُ إِلٰى دَارِ الْـبَـوَارِ بِـخُسْرَانِ

(وَلَا تَجْعَلَنَّا) بتشديد النون (كَالَّذِي قَدْ هَوٰى بِهِ) أي: أسقطه من أعلى إلى أسفل (هَوَاهُ) أي: ميل نفسه للشهوات (إِلٰى دَارِ الْبَوَارِ) أي: العذاب (بِخُسْرَان) أي: هلاك.

وَتُدْنِيْ لَنَا مِنْ حُسْنِ الإِيْقَانِ رَبَّنَا ۞ جَنِيَّ قِطَافٍ بَلْ وَتَغْفِرُ لِلْجَانِي

(وَ) نسألك أن (تُدْنِي) بسكون الياء، أي: تقرب (لَنَا مِنْ حُسْنِ الْإِيْقَانِ) بنقل حركة الهمزة إلى اللام (رَبَّنَا) منادى، حذف منه حرف النداء (جَنِيَّ قِطَافٍ) بفتح القاف وكسرها، أي: مقطوف بمعنى مقطوع (بَلْ وَتَغْفِرُ لِلْجَانِي) أي: المذنب.

وَعُمَّ لِهٰذَا الْجَمْعِ مِنْكَ بِرَحْـمَـةٍ ۞ وَمَغْفِرَةٍ تُنْجِيْهِ مِنْ هَوْلِ نِيْرَانِ

(وَعُمَّ لِهٰذَا الْجَمْعِ) وهم الجماعة الحاضرون في مجلس قراءة المولد (مِنْكَ) متعلق بما بعده (بِرَحْمَةٍ) أي: خير واسع (وَمَغْفِرَةٍ) وعفو وإعراض عن ذنوبهم (تُنْجِيْهِ) بسكون النون والياء، أي: ونسألك أن تخلص، أي: هذا الجمع (مِنْ هَوْلِ نِيْرَانِ) جمع «نار».

وَعَنْ غَيْرِكَ اللّٰهُمَّ حَقِّقْ غِنًى لَنَا ۞ وَأَصْلِحْ وُلَاةَ الْأَمْرِ فِي كُلِّ بُلْدَانِ

(وَعَنْ غَيْرِكَ اللّٰهُمَّ حَقِّقْ) أي: ثبت (غِنًى لَنَا) بكسر الغين المعجمة وبالقصر، أي: عدم احتياجنا. فالحاصل أن «الغنى» بالقصر مع الكسر معناه اليسار، وبالمد كذلك معناه الترنم بالصوت، وبالفتح القصر الإقامة، ومع المد النفع أو الكفاية، وقد

نظمت ذلك بقولي:

اِعْلَمْ بِأَنَّ لِلْغِنَى أَشْتَاتَا ۞ خَمْسَ مَعَانٍ فَافْهَمَنَّ يَا فَتَى

بِالْقَصْرِ مَعْ كَسْرٍ يَسَارٌ وَثَرْوَةٍ ۞ وَبِالْمَدِّ كَالْكِتَابِ ذَا التَّصْوِيْتِ

مَعَ السُّرُوْرِ فَتْحُهُ مَعَ قَصْرِ ۞ مِثْلَ الْعَمَى هِيَ الْإِقَامَةْ فَاذْكُرِ

بِالْمَدِّ كَالْكَلَامِ نَفْعٌ وَاكْتِفَا ۞ فَهَذِهِ الْخِصَالُ لِلْغِنَى وَفَا

وقال بعضهم:

مَعْنَى الْغِنَى بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ الْيَسَار ۞ وَإِنْ يُمَدَّ فَهْوَ صَوْتٌ ذُو انْتِشَار

بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ هُوَ الْإِقَامَةْ ۞ وَالنَّفْعُ إِنْ مُدَّ أَوِ الْكِفَايَةْ

(**وَأَصْلِحْ وُلَاةَ الْأَمْرِ**) الموجودين (**فِي كُلِّ بُلْدَان**) جمع «بلد»، و«الولاة» جمع «وال» مثل «قضاة» و«قاض». والمعنى واجعل المدبرين على أمور الناس في البلدان غير مفسدين وغير ظالمين.

وَأَمِّنْ لَنَا الرَّوْعَاتِ وَاصْلِحْ رَعِيَّةً ۞ وَأَيِّدْ مُلُوْكَ الدِّيْنِ مِنْ آلِ عُثْمَانِ

(**وَأَمِّنْ**) بقصر الهمزة وتشديد الميم أو بمدها وتخفيف الميم مكسورة فيهما (**لَنَا الرَّوْعَاتِ**) بفتح الراء جمع «روعة» بمعنى فزعة، أي: سلمنا مما يفزعنا (**وَاصْلِحْ**) بالوصل مع الواو، أو بالقطع مع حذفها (**رَعِيَّةً**) بكسر العين وتشديد الياء، وهم الجماعة الذين يشملهم تدبير أمير مخصوص (**وَأَيِّدْ**) أي: قوّ (**مُلُوْكَ الدِّيْنِ**) أي: سلاطين الإسلام (**مِنْ آلِ عُثْمَان**) أي: ذي قرابة عثمان الذي هو جد سلاطين

القسطنطينية لا عثمان بن عفان الصحابي.

وَوَفِّقْ لِمَا تَرْضَاهُ فِي كُلِّ حَالَةٍ ۞ مُلُوْكَ بَنِي الزَّهْرَاءِ فِي أَرْضِ نَعْمَانِ

(وَوَفِّقْ لِمَا تَرْضَاهُ فِي كُلِّ حَالَةٍ) أي: هيئة (مُلُوْكَ بَنِي الزَّهْرِاءِ) وهي سيدتنا فاطمة، وسميت الزهراء لأنها لم تحض، كما في حديث رواه النسائي كما قال ﷺ: «ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث» رواه الخطابي. وإنما سماها الله تعالى فاطمة، لأن الله فطمها ومحبيها عن النار، كذا أفاده ابن حجر. وملوك بني الزهراء هم الأشراف الذين هم من ذرية سيدنا الحسن أو من ذرية سيدنا الحسين الذين يتولون على مكة المشرفة كما أشار الناظم إلى ذلك بقوله: (فِي أَرْضِ نَعْمَانِ) بفتح النون، وهو اسم للوادي الذي في مكة من التنعيم ولواد وراء عرفة ولواد بين مكة والطائف ويسمى نعمان الأراك.

وَأَعْظِمْ إِلٰهِي الْأَجْرَ فَضْلًا لِكُلِّ مَنْ ۞ لِذَا الْخَيْرِ أَجْرٰى مِنْ كُهُوْلٍ وَشُبَّانِ

(وَأَعْظِمْ إِلٰهِي الْأَجْرَ) أي: الثواب والجزاء (فَضْلًا) أي: إحسانا منك (لِكُلِّ مَنْ لِذَا الْخَيْرِ) أي: الوليمة، أي: للمجتمعين بها لقصة المولد، والجار والمجرور الأول متعلق بـ«أعظم»، والمجرور الثاني متعلق بـ«أجرى» الذي هو صلة الموصول (أَجْرٰى) وعمل (مِنْ كُهُوْلٍ) جمع «كهل»، وهو من جاوز الثلاثين أو من بلغ الأربعين (وَشُبَّان) بضم الشين جمع «شاب»، وهو من لم يبلغ سن الكهولة.

وَأَمِّنْ وَأَخْصِبْ سُوْحَ طٰهٰ تَحَسُّنًا ۞ وَقَاضِي بِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ مَعَ الدَّانِي

(وَأَمِّنْ) بالوجهين المذكورين[1]، أي: من المخاوف والأهوال (وَأَخْصِبْ) أي: كثير العيش والعشب (سُوْحَ طٰهٰ) ﷺ، والمراد: بلد سيدنا محمد ﷺ وهو مكة والمدينة (تَحَنُّنًا) أي: ترحما منك (وَقَاضِي بِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ) عن مكة والمدينة (مَعَ الدَّانِي) إليهما.

وَرَخِّصْ لَنَا الْأَسْعَارَ جُوْدًا وَمِنَّةً ۞ وَمُنَّ بِغَيْثٍ صَيِّبٍ وَبِهَتَّانِ

(وَرَخِّصْ) بشد الحاء كما في أكثر النسخ، لكن الصواب بالهمزة المفتوحة وسكون الراء كما يؤخذ من المصباح، قال: وتعدية «رخّص» من باب «قرّب» بالتضعيف غير معروف (لَنَا الْأَسْعَارَ) جمع «سعر» بكسر السين، وهو ما يقوم عليه الثمن، أي: اجعلها لنا رخيصا (جُوْدًا) بضم الجيم، أي: تكرما (وَمِنَّةً) بكسر الميم، أي: نعمة منك (وَمُنَّ) بضم الميم وتثليث النون، أي: أنعم علينا (بِغَيْثٍ) أي: مطر (صَيِّبٍ) أي: كثير (وَبِهَتَّان) بفتح الهاء وشد التاء، وهو مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود، أو هو المطر الضعيف الدائم.

وَبِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ فَامْنُنْ تَكَرُّمًا ۞ لِنَاظِمِ عِقْدٍ عَزَّ عَنْ قَدْرِ أَثْمَانِ
عُبَيْدِكَ زَيْنِ الْعَابِدِيْنَ هُوَ الَّذِيْ ۞ مُحَمَّدُ الْهَادِيْ أَبُوْهُ وَسِبْطَانِ

(وَبِالْعَفْوِ) أي: محو الذنوب (وَالْغُفْرَانِ) أي: ستر العيوب (فَامْنُنْ) أي: أنعم (تَكَرُّمًا) منك، وهو إفادة ما ينبغي لا لغرض (لِنَاظِمِ عِقْدٍ) أي: لجامع قلادة، أي:

(١) قوله: (وأمّن، **بالوجهين المذكورين**) أي: بقصر الهمزة وتشديد الميم، أو بمدها وتخفيف الميم، مكسورة فيهما.

لجامع هذه القصة (**عَزَّ**) أي: عظم ذلك العقد (**عَنْ قَدْرِ**) أي: قيمة (**أَثْمَان**) جمع «ثمن»، وهو العوض. وفي الصحاح: الثمن ما قابل المبيع، والقيمة ما في المتاع (**عُبَيْدِكَ**) بصيغة التصغير تواضعا من الناظم رحمه الله تعالى (**زَيْنِ الْعَابِدِيْنَ هُوَ الَّذِيْ مُحَمَّدٌ الْهَادِي**) وهو علم لأبي الناظم ابن السيد زين ابن السيد جعفر (**أَبُوْهُ**) أي: زين العابدين (**وَسِبْطَانِ**) وهما الحسن والحسين. والسبط ولد البنت، أي: إن الناظم من ذرية الحسن والحسين وهما ابنا بنت رسول اللّه ﷺ.

إِلٰى آلِ بَـرْزَنْـجٍ شَهِيْرُ انْتِمَاؤُهِ ۞ وَنِسْبَتُهُ لِلْمُصْطَفٰى ذَاتُ بُرْهَانِ

(**إِلٰى آلِ بَرْزَنْجٍ**) أي: أهله وذي قرابته (**شَهِيْرُ انْتِمَاؤُهُ**) أي: انتساب زين العابدين كائن إلى آل برزنج، فالجار والمجرور خبر «انتماؤه»، و«شهير» بحذف التنوين للوزن حال من الضمير في الخبر، أي: معروفا، ويحتمل أن يكون خبرا للمبتدأ (**وَنِسْبَتُهُ**) بكسر النون وضمها، أي: نسبة آل برزنج (**لِلْمُصْطَفٰى**) ﷺ (**ذَاتُ بُرْهَانِ**) أي: صاحبة وضوح.

وَحَقِّقْ لِبَحْرِ الْفَضْلِ جَعْفَرَ فَوْزَهُ ۞ بِقُرْبِكَ وَارْفَعْهُ بِأَرْفَعِ كُـثْبَـانِ

(**وَحَقِّقْ لِبَحْرِ الْفَضْلِ**) أي: الكمال والشرف والعلو (**جَعْفَرَ**) بحذف التنوين للوزن، وهو منصرف، كما ذكره في شرح الملحة للحريري، لأنه ليس من أوزان الفعل التي تمنع الصرف، لأن شرطها اختصاص صيغتها بالفعل أصالة بأن لا توجد الصيغة في الاسم إلا منقولة عنه كما قاله القليوني، ومنع صرف المستحق للصرف مختلف في جوازه في الضرورة فأكثر البصريين لا يجيزون ذلك (**فَوْزَهُ**) أي: ظفره (**بِقُرْبِكَ**) في

المعنى لا في الحس تعالى الله عنه علوا كبيرا (**وَارْفَعْهُ**) أي: جعفرا (**لِأَرْفَعِ كُثْبَان**) بضم الكاف جمع «كثيب»، وهو التل من الرمل، وهذا هو المعنى الأصلي، والمراد هنا الرتبة.

وَأَسْكِنْهُ فِيْهَا فِي جِوَارِ حَبِيْبِهِ ۞	وَأَشْهِدْهُ ذَاتًا مِنْكَ لَيْسَ لَهَا ثَانِ
وَأَسْلَافَنَا وَالْوَالِدَيْنِ وَآلَنَا ۞	وَأَشْيَاخَنَا مَعْ حَاضِرِيْنَ وَإِخْوَانِ
وَكَاتِبَهَا اسْتُرْ عَيْبَهُ ثُمَّ عَجْزَهُ ۞	وَقَارِئَهَا وَالسَّامِعِيْنَ بِآذَانِ

(**وَأَسْكِنْهُ**) أي: جعفرا (**فِيْهَا**) أي: الجنة (**فِي جِوَارِ**) بكسر الجيم وضمها، أي: في قرب (**حَبِيْبِهِ**) أي: جعفر، والمراد به سيدنا محمد ﷺ. (**وَأَشْهِدْهُ**) أي: جعفرا (**ذَاتًا مِنْكَ**) أي: اجعله لذاتك الكريم في الجنة (**لَيْسَ لَهَا**) أي: لذاتك (**ثَان**) أي: شبيه ونديد. (**وَ**) اجعل مثل ذلك (**أَسْلَافَنَا**) جمع «سلف»، مثل «سبب» و«أسباب»، وهو كل من تقدم علينا من آبائنا وقرابتنا (**وَالْوَالِدَيْنِ**) أي: آباءنا وأمهاتنا (**وَآلَنَا**) أي: أتباعنا وأحبابنا (**وَأَشْيَاخَنَا**) جمع «شيخ»، والمراد به أبو التعليم، وهو أشرف من أبي النسب كما قيل:

أُقَدِّمُ أُسْتَاذِيْ عَلٰى فَضْلِ وَالِدِيْ ۞ وَإِنْ نَالَنِيْ مِنْ وَالِدِي الْعِزُّ وَالشَّرَفْ
فَذَاكَ مُرَبِّي الرُّوْحِ وَالرُّوْحُ جَوْهَرٌ ۞ وَهٰذَا مُرَبِّي الْجِسْمِ وَالْجِسْمُ كَالصَّدَفْ

(**مَعْ**) بسكون العين (**حَاضِرِيْنَ**) لقصة المولد (**وَإِخْوَان**) بكسر الهمزة وضمها جمع «أخ»، أي: في النسب وفي الدين (**وَكَاتِبَهَا**) أي: هذه القصة وكاتب شرح أو حاشية عليهما (**اسْتُرْ عَيْبَهُ**) أي: وصمة الظاهر والباطن (**ثُمْ عَجْزَهُ**) أي: ضعفه عن فعل الخيرات (**وَقَارِئَهَا**) أي: هذه القصة (**وَالسَّامِعِيْنَ**) لها (**بِآذَان**) جمع «أذن» بضمتين أو

بسكون الثاني للتخفيف.

وَصَلِّ وَسَلِّمْ لِي عَلَى خَيْرِ قَابِلٍ ۞ تَجَلِّيَ كُلِّيّ الْحَقِيْقَةِ وَالشَّانِ

(**وَصَلِّ وَسَلِّمْ لِي**) أي: اجعل صلاتك وسلامك لأجل طلبي إياهما منك (**عَلَى خَيْرَ قَابِلٍ تَجَلِّيَ كُلِّيّ الْحَقِيْقَةِ**) و«تجلي» مفعول به، وهو انكشاف القلب من نور الغيب، والكلي الحقيقي: ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة كالإنسان، وإنما سمي كليا لأن كلية الشيء إنما هي بالنسبة إلى الجزئي، فيكون ذلك الشيء منسوبا إلى الكل، والمنسوب إلى الكل كلي، كذا في التعريفات (**وَالشَّانِ**) أي: العرضي، وهو الذي لا يدخل في حقيقة جزئياته بأن لا يكون جزءا بأن يكون خارجا كالضاحك بالنسبة إلى الإنسان، وخير القابل لذلك هو سيدنا محمد ﷺ.

كَذَا الْآلُ وَالْأَصْحَابُ وَالرُّسْلُ سِيَّمَا ۞ أُولِي الْعَزْمِ وَالْأَمْلَاكِ مِنْ خَيْرِ رُوْحَانِي

(**كَذَا الْآلُ**) أي: الأتباع للنبي ﷺ ولو عصاة (**وَالْأَصْحَابُ وَالرُّسْلُ**) بسكون السين (**سِيَّمَا أُوْلِي الْعَزْمِ**) وهم خمسة، نظمها بعضهم في قوله:

مُحَمَّدٌ إِبْرَاهِيْمُ مُوْسَى كَلِيْمُهُ ۞ فَعِيْسَى فَنُوْحٌ هُمْ أُولُو الْعَزْمِ فَاعْلَمِ

(**وَالْأَمْلَاكِ مِنْ خَيْرِ رُوْحَانِي**) بضم الراء، وهو النسبة إلى الملك.

صَلَاةً مَدَى الْأَيَّامِ مَا فَاهَ مُنْشِدٌ ۞ بِسِيْرَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ فِي حُسْنِ إِلْحَانِ

(**صَلَاةً**) مفعول مطلق، أي: وسلاما (**مَدَى الْأَيَّامِ**) بفتح الميم والدال، أي: غاية

الأوقات (مَا فَاهَ) أي: تلفظ (مُنْشِدُ بِسِيْرَةِ) بكسر السين، أي: حالة (خَيْرِ الْخَلْقِ فِي حُسْنِ إِلْحَانِ) بكسر الهمزة، أي: صوت وإفصاح.

وَمَا شَنَّفَ الْأَسْمَاعَ دُرِّيُّ وَصْفِهِ ۞ وَقَلَّدَ أَجْيَادًا قَلَائِدَ مَرْجَانِ

(وَمَا شّنَّفَ) أي: زين (الْأَسْمَاعَ) مفعول مقدم (دُرِّيُّ وَصْفِهِ) أي: خير الخلق ﷺ، و«دري» بضم الدال وشد الراء والياء فاعل مؤخر، وإضافته لوصفه من إضافة المشبه به للمشبه، أي: وصفه الدري، أي: المنسوب للدر وهو اللؤلؤة العظيمة الكبيرة (وَ) ما (قَلَّدَ أَجْيَادًا) جمع «جِيد» وهو العنق (قَلَائِدَ مَرْجَانِ) و«القلائد» جمع «قلادة» بكسر القاف، وفاعل «قلد» ضمير يعود إلى «دري وصفه»، و«أجيادا» مفعول أول، و«قلائد» مفعول ثان لـ«قلد» لأنه متعد لمفعولين كما علم من المصباح.

وَحَلَّتْ صُدُوْرًا لِلْمَحَافِلِ قَدْ سَمَتْ ۞ عُقُوْدُ حِلَاهُ الزَّيْنُ فِي سِمْطِ إِتْقَانِ

(وَ) ما (حَلَّتْ) أي: زينت (صُدُوْرًا) جمع «صدر» وهو الأعلى من مقدم (لِلْمَحَافِلِ) جمع «محفل» بكسر الفاء، وهو موضع الاجتماع، أي: للمجالس (قَدْ سَمَتْ) أي: ارتفعت تلك الصدور وفاقت غيرها (عُقُوْدُ) جمع «عقد» بكسر العين، أي: قلائد، وهذا فاعل لـ«حلت» مضاف لما بعده (حِلَاهُ) أي: صفات خير الخلق ﷺ، وهو بكسر الحاء على الأفصح وقد تضم جمع «حلية» بكسرها فقط بمعنى صفة، فإضافة «عقود» لـ«حلاه» من إضافة المشبه به للمشبه، أي: حلاه ﷺ المشبهة بالعقود في حسنها (الزَّيْنُ) أي: المليحة التي تزينه ﷺ وتكمله، وهو صفة مشبهة (فِي سِمْطِ) بكسر السين، أي: خيط (إِتْقَان) أي: إحكام، هذا من إضافة الشيء إلى صفته، وهو

ترشيح للمشبه به، ومعلوم أن صفاته ﷺ الكمالية لا تنفك عنه.

وَفِي مِائَتَيْنِ قَدْ أَتَى نَـظْـمُ مَـوْلِدٍ ۞ يَزِيْدُهُمَا خَـمْسٌ رَجَوْنَا بِغُفْرَانِ

(**وَفِي مِائَتَيْنِ قَدْ أَتَى نَظْمُ**) أي: قصة (**مَوْلِدٍ**) شريف نبوي، والنظم: ضد النثر، وهو الكلام الموزون الذي قصد وزنه فارتبط بمعنى وقافية، وأصله التأليف مأخوذ من نظم العقد، وهو تأليف جواهره على وجه يستحسن (**يَزِيْدُهُمَا**) أي: المائتين (**خَمْسٌ**) من الأبيات (**رَجَوْنَا**) من الله تعالى (**بِغُفْرَان**) للذنوب الكبائر والصغائر في الظاهر والباطن.

فائدة: قال عبد الرحمن بن أحمد في علمي الرسم والخط: زيدت الألف في «مائة» فرقا بينه وبين «منه» لأن حروفهما متحدة، والمصحف ليس فيه نقط، أي: في الأصل ولا شكل، وإنما وجد ذلك في زمن الخليل، وقيل: قصدا للفرق بينه وبين «مية» اسم امرأة . فإن قيل: إن «مية» ليست من القرآن، فما فائدة الفرق؟ فالجواب عن ذلك أن تقول: إنها وقعت في كلام العرب، فيظن الناظر أن «مائة» هذه «مية» التي تذكر عند العرب، لأن القرآن نزل على لغة العرب، فلخوف هذا اللبس جعلوا الألف في «مائة»، وأما «مائتين» فزيدت فيه الألف حملا على مفرده، وعندي: أنها زيدت فرقا بينه وبين «ميتين» تثنية «ميت» ضد «الحي» وإن لم يكن في القرآن، لأن ذلك وقع في كلام العرب انتهى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا، واختم لنا منك بخير برحمتك يا أرحم الراحمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على الرسلين. والحمد لله رب العالمين.

قال مؤلفه: كمل هذا الشرح آخر ظهر يوم الجمعة ثالث عشر جمادي الآخرة من عام أربع وثمانين ومائتين بعد الألف (١٢٨٤) على يد جامعه محمد نووي بن عمر ابن عربي بن علي تاب الله عليهم آمين.

* * *